الأدلةُ البيِّناتُ

في تحريم

الخروج على الولاة ومنه المظاهرات

كتبه :

سليمان بن مبروك الحربي

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۞ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيماً﴾.

أما بعد

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فاعلم أيها المسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حذرنا «فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا» رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرّف لها تستشرفه فمن وجد فيها ملجئاً أو معاذاً فليعذ به» رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص كما في مسلم«...وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتنة فيرقق[1]

(١) وردة هذه بثلاثة أوجه: أحدها: يُرقق. والوجه الثاني: فيــَرفق، والوجه الثالث: فيدفق.

بعضها بعضا وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مُهلكتي. ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه. فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر...».

فالفتنة إذا نزلت عمَّت لقوله – تعالى –: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

قال القرطبي – رحمه الله –: "ومقصود الآية: واتقوا فتنة تتعدى الظالم، فتصيب الصالح والطالح".

وقد جاءت الفتنة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على أنواع ومعانٍ كثيرة.

قال الأزهري (في تهذيب اللغة: – فتن): جِمَاعُ معنى الفِتنةِ في كلام العرب: الابتلاء والامتحان والاختبار[1]، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضّة والذّهب إذا أذبتهما بالنّار لتميّز الرّديء من الجيّد.

وتأتي الفتنة بمعنى الكفر كما في قوله – تعالى –: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، وقوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ كذا قال أهل التفسير.

وتأتي الفتنة بمعنى الفضيحة كما في قوله – تعالى –: ﴿وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَه﴾[2].

وتأتي بمعنى العذاب، وبمعنى القتل، والفاتن: المضلّ عن الحقّ.

وتأتي بمعنى الامتحان والاختبار كما في قوله – جل وعز –: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي أحرقوهم بالنار الموقدة في الأخدود يُلقون المؤمنين فيها ليصدوهم عن الإيمان، وقد جعل الله – جل وعز – امتحان عبيده

---

(١) وفي المحيط في اللغة: والفِتْنَةُ: العَذَابُ. والبَلاءُ. وما يَقَع بَيْنَ الناسِ من الحُرُوْبِ.

وفي الصحاح: الفِتْنَةُ: الامتحان والاختبار.

(٢) وفي لسان العرب، قال، قال ابن سيده: والفِتْنةُ الكُفْر.

وفي التنزيل العزيز: ﴿وقاتِلُوهم حتى لا تكونَ فِتْنة﴾ والفِتْنةُ: الفَضِيحة

وقوله – عز وجل –: ﴿ومن يرد الله فِتْنَتَه﴾ قيل معناه فضيحته، وقيل كفره، قال أَبو إِسحاق: ويجوز أَن يكون اختِبارَه بما يَظْهَرُ به أَمرُه والفِتْنة العذاب.

المؤمنين ليبلو صبرهم فيُثيبهم، أو جزعهم على ما ابتلاهم فيجزيهم جزاءهم فتنة، قال الله – جل وعز –: ﴿الم ۞أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.

جاء في التفسير وهم لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم فيُعلم بالصبر على البلاء الصادق الإيمان من غيرهم وقيل وهم لا يفتنون. وهم لا يُمتحنون بما يبين به حقيقة إيمانهم.

وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي اختبرنا وابتلينا.

وأما قوله: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾، أي يُختبرون بالدُّعاء إلى الجهاد.

والفتنة الإثم في قوله: ﴿ومِنْهُم مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي ولاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي ائذن لي في التخلف ولا تفتني ببنات الأصفر، يعني الروميات، قال ذلك على سبيل الهزء، ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ أي ليزيلونك.

وقوله – جل وعز – مخبراً عن الملكين هاروت وماروت: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ معناها إنما نحن ابتلاء واختبار لكم، وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يقول: لا تظهرهم علينا فيُعجبوا ويظنوا أنهم خير منا، فالفتنة هاهنا إعجاب الكفار بكفرهم.

والفتنة بمعنى القتل كما في قول الله – جل وعز –: ﴿إن خِفْتُم أَنْ يَفْتِنَكُم الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وكذلك قوله في سورة يوسف: ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ ﴿يفتنهم﴾ أي يقتلهم.

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إني أرى الفتن خلال بيوتكم»، فإنه يكون القتل والحروب والاختلاف الذي يكون بين فرق المسلمين إذا تحزَّبوا ويكون ما يُبْلون به من زينة الدنيا، وشهواتها فيُفتنون بذلك عن الآخرة، والعمل لها.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «ما تركت فتنة أضرَّ على الرجال من النساء».

يقول: أخاف أن يُعجبوا بهن فيشتغلوا عن الآخرة والعمل لها، ...، وروى الزجاج عن المفسرين في قول الله – جل وعز –: ﴿فَتَنْتُم أنفُسكُم وتربَّصْتُم وارْتَبتُم﴾

أي استعملتموها في الفتنة، وقيل: أنمتموها، وقال: والفتنة الإضلال في قوله: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ۞إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ يقول ما أنتم بمضلين إلا من أضلَّه الله أي لستم تُضِلُّون إلا من أضله الله، أي لستم تضلون إلا أهل النار الذين سبق علمه بهم في ضلالتهم، والفتنة الجنون، وكذلك الفُتون، ومنه قول الله – جل وعز –: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ۞بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾، قال أبو إسحاق: معنى المفتون الذي فُتِن بالجنون.

والفتنة العذاب نحو تعذيب الكفار ضِعْـفَي المؤمنين في أول الإسلام ليصدُّوهم عن الإيمان كما مطي بلال على الرمضاء يُعذب حتى افْتَكَّه الصَّديق أبو بكر فأعتقه.

وأخبرني المنذري عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه قال: الفتنة الاختبار والفتنة المحنة والفتنة المال، والفتنة الأولاد، والفتنة الكفر والفتنة اختلاف الناس بالآراء، والفتنة الإحراق بالنار، وقيل الفتنة الغلو في التأويل المظلم، يقال فلان مفتون يطلب الدنيا أي قد غلا في طلبها وجماع الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان.

وقوله: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ أي أخلصناك إخلاصاً..."، انتهى مختصراً من تهذيب اللغة للأزهري.

و(في الموسوعة الفقهية – فتن): ذكر شيء من كلام الأزهري ثم قال بعده: "ولا يخرج المعنى الاصطلاحيّ عن المعنى اللّغويّ. [يعني ما تقدم من كلام الأزهري] وتظاهرت نصوص الكتاب والسّنّة على التّحذير من الفتن والأمر بتجنّبها واعتزالها وعدم الخوض فيها، فمن ذلك قوله – تعالى –: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾.

وما روته عائشة رضي الله عنها: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصّلاة: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدّجّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من المأثم والمغرم» متفق عليه.

قال ابن دقيق العيد: فتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدّة حياته من الافتتان بالدّنيا والشّهوات والجهالات، وأعظمها والعياذ باللّه أمر الخاتمة عند الموت" انتهى.

قال ابن جرير: "وأصل البلاء: الاختبار، وقد يكون بالخير والشر، كما قال – تعالى –: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾" انتهى كلام ابن جرير.

وقال الله – تعالى –: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

وهنا بمعنى الاختبار والابتلاء، قال أبو جعفر: "يقول – تعالى ذكره – للمؤمنين: واعلموا أيها المؤمنون، أنما أموالكم التي خوَّلَكموها الله، وأولادكم التي وهبها الله لكم، اختبارٌ وبلاء، أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم، لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها، والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، يقول: واعلموا أن الله عنده خيرٌ وثواب عظيم على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، في أموالكم وأولادكم التي اختبركم بها في الدنيا، وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها، تنالوا به الجزيل من ثوابه في معادكم".

وقال ابن كثير – رحمه الله – (في تفسيره ٤٢/٤): "وقوله – تعالى –: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: اختبار وامتحان منه لكم؛ إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها، أو تشتغلون بها عنه، وتعتاضون بها منه؟ كما قال – تعالى –: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، وقال: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، وقال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، وقال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي: ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الأموال والأولاد، فإنه قد يوجد منهم عدو، وأكثرهم لا يغني عنك شيئاً، والله – سبحانه – هو المتصرف المالك للدنيا والآخرة، ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة. ...، وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان

يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»، بل حب رسوله مقدم على الأولاد والأموال والنفوس، كما ثبت في الصحيح أنه عليه السلام قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين»".

قلت: فمن تمسك بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما عليه الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح، فقد أخذ بشريعة الإسلام، وتحققت له السعادة والنجاة من الفتن؛ فمن سلك سبيل الله فعرف الحق واتبعه، وعرف الباطل واجتنبه كان على صراط الذين أنعم الله عليهم، وقد أرشد الله عباده فقال لهم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

قال البربهاري – رحمه الله –: "واعلم أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر، فمن السنة لزوم الجماعة، ومن رغب غير الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكان ضالاً مضلاً".

وقال – رحمه الله –: "والأساس الذي تبنى عليه الجماعة هم أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم – رحمهم الله أجمعين –، وهم أهل السنة والجماعة فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلال وأهله في النار...، واعلم – رحمك الله – أن الدين إنما جاء من قبل الله – تبارك وتعالى – لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم وعلمه عند الله وعند رسوله، فلا تتبع شيئاً بهواك فتمرق من الدين فتخرج من الإسلام؛ فإنه لا حجة لك؛ فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته السنة وأوضحها لأصحابه، وهم الجماعة، وهم السواد الأعظم، والسواد الأعظم الحق وأهله، فمن خالف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من أمر الدين فقد كفر.

واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها، فاحذر المحرمات من الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار، واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغار البدع تعود حتى تصير

كباراً، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع المخرج منها، فعظمت وصارت ديناً يدان بها فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام...".

وقال ابن تيمية – رحمه الله – (كما في مجموع الفتاوى ٧٥/١) عند قوله: نفع الاعتقاد المطابق للحق لصاحبه: "لكن ينبغي أن يعرف أن عامة من ضل في هذا الباب [أي في نفع الاعتقاد المطابق للحق] أو عجز فيه عن معرفة الحق: فإنما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول، وترك النظر والاستدلال الموصل إلى معرفته، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا، كما قال – تعالى –: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه: أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية.

وكما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ستكون فتن» قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟، قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تشبع منه العلماء»، وفي رواية: «ولا تختلف به الآراء، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته: أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم».

قال – تعالى –: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾...الخ".

وقال ابن القيم – رحمه الله – (في إغاثة اللهفان ٦٦/١): "أن أهل السعادة هم الذين عرفوا الحق واتبعوه، وأن أهل الشقاوة هم الذين جهلوا الحق وضلوا عنه أو

علموه وخالفوه واتبعوا غيره، وينبغي أن تعرف أن هاتين القوتين لا تتعطلان في القلب، بل إن استعمل قوته العلمية في معرفة الحق وإدراكه وإلا استعملها في معرفة ما يليق به ويناسبه من الباطل، وإن استعمل قوته الإرادية العملية في العمل به وإلا استعملها في ضده فالإنسان حارث همام بالطبع، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أصدق الأسماء: حارث وهمام»، فالحارث الكاسب العامل، والهمام المريد؛ فإن النفس متحركة بالإرادة وحركتها الإرادية لها من لوازم ذاتها، والإرادة تستلزم مراداً يكون متصوراً لها متميزاً عندها؛ فإن لم تتصور الحق وتطلبه وترده تصورت الباطل وطلبته، وأرادته ولابدّ"

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – (كما في مجموع الفتاوى ٩١/٦) عند كلامه عن موقف المؤمن من الفتن: "وطريق النجاة من صنوف الفتن: هو التمسك بكتاب الله وبسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، كما روي ذلك عن علي مرفوعاً تكون فتن، قيل: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم». الحديث.

والمقصود أن الفتن فتن الشهواتِ والشبهاتِ والقتالِ، وفتن البدع كل أنواع الفتن لا تخلص منها ولا نجاة منها إلا بالتفقه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومعرفة منهج سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم ومن سلك سبيلهم من أئمة الإسلام ودعاة الهدى".

قلت: ولقد ابتلي المسلمون بزمان يموج بالفتن والاضطرابات موج البحر، حيث ران الهوى على كثير من الناس، فتركوا الصراط المستقيم، وأخذوا بأفرادهم وجماعاتهم إلى سبل الشيطان، فتفرقوا أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، وسلكوا مسلك الكفار، فتشبهوا بهم، واستنوا بأنظمتهم: من مظاهرات وديمقراطيات، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال أمثالهم: «من تشبه بقوم فهو منهم» رواه أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وفي صحيح البخاري قال صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه». قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟، قال: «فمن؟».

فقد انغمس أكثر أهل زماننا في الفتن، واتبعوا غير سبيل المؤمنين، فمرجت عقولهم، وضلت أهواؤهم، وانحرفوا عن الصراط المستقيم، فأحدثوا من الفتن ما أحدثوا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (في أولياء الرحمن وأولياء الشيطان١/٦): "وقد بين – سبحانه وتعالى – في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن لله أولياء من الناس، وللشيطان أولياء ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقال – تعالى –: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم﴾ ....".

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أولياء الرحمن: «إن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الشهداء والنبيون يوم القيامة لقربهم من الله – تعالى – ومجلسهم منه» فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله صفهم لنا وجلهم لنا؟ قال: «قوم من أفناء الناس من نزاع القبائل تصادقوا في الله وتحابوا فيه يضع الله – عز وجل – لهم يوم القيامة منابر من نور يخاف الناس[1] ولا يخافون، هم أولياء الله – عز وجل – الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾» رواه الإمام أحمد – رحمه الله – في مسنده من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله.

فصل
نعمة الإيمان

[1] أي أن الناس يكونون في خوف أما هؤلاء القوم فإنهم لا يخافون.

اعلم أيها المسلم أن أعظم نعمة على العبد وأجلها هي نعمة الإيمان، فهي ترفعه في الدنيا والآخرة؛ ففيها الحياة الحقيقية، والسعادة الأُخْرَوِيّة، يعرفها من ذاق طعمها، ويحس بها من عاشها، وأن الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان.

فالإيمان نور يَهبُه الله لمن يشاء من عباده، ويصرفه عمن يشاء، قال – تعالى –: ﴿قُلْ إِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.

فمن آمن بالله – عز وجل – رباً، وأطاع أمره واجتنب نهيه، وآمن برسوله صلى الله عليه وسلم نبياً، وأطاع أمره واجتنب نهيه، فهو مع الذين أنعم الله عليهم، قال – تعالى –: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

وقال – تعالى –: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ۞صِراطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عليهِمْ﴾.

فالإيمان يجعل صاحبه صابراً وثابتاً على الحق، لا يصرفه عنه هوىً صارف، ولا أسباب مغرية من أعراض الدنيا الزائلة، مقتد برسل الله في صبرهم عند الابتلاء والامتحان، فهذا لا تضره الفتن والحال هذه.

وصفة المؤمن التمسك بالكتاب والسنة، وما عليه السلف الصالح، من غير مداهنة المخالف للصراط المستقيم، ولا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان ذا قربى.

قال – تعالى–: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾.

أما من فقد الإيمان، وكان دينه على غير بصيرة ولا علم، فإنه إذا أوذي في الله جعل فتنة الناس له كعذاب الله.

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى – (في تفسيره ٢٥٦/٦) عند تفسير قوله – تعالى – : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾، "يقول – تعالى – مخبراً عن صفات قوم من المكذبين الذين يدَّعون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا، اعتقدوا أن هذا من نقمة الله – تعالى – بهم، فارتدوا عن الإسلام؛ ولهذا قال:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾".

وقال ابن القيم – رحمه الله – (في زاد المعاد ١١/٣): "فعزَّى – سبحانه – نبيه بذلك وأن له أسوة بمن تقدمه من المرسلين وعزَّى أتباعه بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، وقوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۞ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۞ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾.

فليتأمل العبد سياق هذه الآيات، وما تضمنته من العبر وكنوز الحكم؛ فإن الناس إذا أُرسل إليهم الرسلُ بين أمرين: إما أن يقول أحدهم: آمنا، وإما أن لا يقول ذلك، بل يستمر على السيئات والكفر، فمن قال: آمنا امتحنه ربه وابتلاه وفتنه، والفتنة: الابتلاء والاختبار ليتبين الصادق من الكاذب، ومن لم يقل: آمنا فلا يحسب أنه يعجز الله، ويفوته ويسبقه؛ فإنه إنما يطوي المراحل في يديه.

وكيف يفِـرُّ المرء عنه بذنبه إذا كان تطوى في يديه المراحل

فمن آمن بالرسل وأطاعهم، عاداه أعداؤهم وآذوه، فابتلي بما يؤلمه، وإن لم يؤمن بهم ولم يطعهم، عوقب في الدنيا والآخرة، فحصل له ما يؤلمه، وكان هذا المؤلم له أعظم ألماً، وأدوم من ألم أتباعهم، فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء، ثم تكون له

العاقبة في الدنيا والآخرة، والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداء، ثم يصير إلى الألم الدائم.

وسئل الشافعي – رحمه الله – أيما أفضل للرجل أن يمكَّن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكَّن حتى يبتلى، والله – تعالى – ابتلى أولي العزم من الرسل، فلما صبروا مكَّنهم فلا يظن أحد أنه يَخْلَصُ من الألم البتة، وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول، فأعقلهم من باع ألماً مستمراً عظيماً، بألم منقطع يسير، وأشقاهم من باع الألم المنقطع اليسير بالألم العظيم المستمر.

فإن قيل: كيف يختار العاقل هذا؟ قيل: الحامل له على هذا النقد والنسيئة، والنفس موكلة بحب العاجل، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾، ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾، وهذا يحصل لكل أحد؛ فإن الإنسان مدني بالطبع لا بد له أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، فإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه، وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب تارة منهم وتارة من غيرهم، كمن عنده دين وتقى، وحل بين قوم فجار ظلمة، ولا يتمكنون من فجورهم وظلمهم إلا بموافقته لهم أو سكوته عنهم، فإن وافقهم أو سكت عنهم سلم من شرهم في الابتداء، ثم يتسلطون عليه بالإهانة والأذى أضعاف ما كان يخافه ابتداء لو أنكر عليهم وخالفهم، وإن سلم منهم فلا بد أن يهان ويعاقب على يد غيرهم، فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت عائشة أم المؤمنين لمعاوية: «من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً»[1].

ومن تأمل أحوال العالم رأى هذا كثيراً فيمن يعين الرؤساء على أغراضهم الفاسدة، وفيمن يعين أهل البدع على بدعهم، هرباً من عقوبتهم، فمن هداه الله وألهمه رشده، ووقاه شر نفسه، امتنع من الموافقة على فعل المحرم، وصبر على عدوانهم،

---

[1] ولفظ آخر: «من أرضى الله بسخط الناس، كفاه الله الناس، ومن أسخط الله برضى الناس، وكله الله إلى الناس» صححه الألباني رحمه الله.

ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، كما كانت للرسل وأتباعهم: كالمهاجرين والأنصار، ومن ابتلي من العلماء والعباد وصالحي الولاة والتجار وغيرهم.

ولما كان الألم لا محيص منه البتة عزّى الله – سبحانه – من اختار الألم اليسير المنقطع على الألم العظيم المستمر، بقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، فضرب لمدة هذا الألم أجلاً لا بد أن يأتي، وهو يوم لقائه، فيلتذ العبد أعظم اللذة بما تحمّل من الألم من أجله، وفي مرضاته، وتكون لذته وسروره وابتهاجه بقدر ما تحمّل من الألم في الله ولله، وأكد هذا العزاء والتسلية برجاء لقائه، ليحمل العبد اشتياقه إلى لقاء ربه ووليه على تحمّل مشقة الألم العاجل، بل ربما غيبه الشوق إلى لقائه عن شهود الألم والإحساس به، ولهذا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه الشوق إلى لقائه، فقال في الدعاء الذي رواه أحمد وابن حبان: «اللهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»

فالشوق يحمل المشتاق على الجد في السير إلى محبوبه، ويقرب عليه الطريق، ويطوي له البعيد، ويهون عليه الآلام والمشاق، وهو من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده، ولكن لهذه النعمة أقوال وأعمال، هما السبب الذي تنال به، والله – سبحانه – سميع لتلك الأقوال، عليم بتلك الأفعال، وهو عليم بمن يصلح لهذه النعمة، ويشكرها ويعرف قدرها، ويحب المنعم عليه، فتصلح عنده هذه النعمة، ويصلح بها، كما قال – تعالى –: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾، فإذا فاتت العبد نعمة من نعم ربه فليقرأ على نفسه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾، ثم عزاهم – تعالى – بعزاء

آخر، وهو أن جهادهم فيه إنما هو لأنفسهم، وثمرته عائدة عليهم، وأنه غني عن العالمين، ومصلحة هذا الجهاد ترجع إليهم لا إليه سبحانه، ثم أخبر أنه يدخلهم بجهادهم وإيمانهم في زمرة الصالحين.

ثم أخبر عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة، وأنه إذا أوذي في الله جعل فتنة الناس له كعذاب الله، وهي أذاهم له، ونيلهم إياه بالمكروه والألم الذي لابد أن يناله الرسل وأتباعهم ممن خالفهم، جعل ذلك في فراره منهم وتركه السبب الذي ناله كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون بالإيمان، فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب، وهذا لضعف بصيرته [أي: الذي دخل في الإيمان بلا بصيرة]: فر من ألم عذاب أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم، ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله، فجعل ألم فتنة الناس في الفرار منه بمنزلة ألم عذاب الله، وغبن كل الغبن إذ استجار من الرمضاء بالنار، وفر من ألم ساعة إلى ألم الأبد، وإذا نصر الله جنده وأولياءه، قال: إني كنت معكم والله عليم بما انطوى عليه صدره من النفاق.

والمقصود: أن الله – سبحانه – اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكراماته ومن لا يصلح، وليمحص النفوس التي تصلح له ويخلّصها بكير الامتحان، كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان، إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية؛ فإن خرج في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم، فإذا هُذب العبد ونُقي أذن له في دخول الجنة".

وقال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره: "وقوله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْه﴾ أي: من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله، ولو كان أباه أو أخاه، فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان، أي: كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته".

وقال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله – (في إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ص ٤٥) عن من يدعى الإيمان ويتنازل عنه: "... الذي يدّعي الإيمان ولكنه يتنازل عن الإيمان – أو عن شيء منه – من أجل الخوف أو الطمع أو غير ذلك، فهذا دليل إما على عدم إيمانه أو على نقصان إيمانه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾، أما المؤمن فإنه يصبر ولو ناله شيء من المكاره، ولو حاول النّاس أن يصرفوه عن دينه، أعطوه أموالاً، وأعطوه ما يعطونه، أو حاولوا صرفه عن دينه، أو التنازل عن دينه بالتخويف والتهديد بالقتل، والتهديد بالتعذيب، فإنه يصبر، ولا يتنازل عن دينه حتى يلقى الله – سبحانه – متمسِّكاً بدينه، هذا هو المؤمن حقّاً".

قلت: وقد أمر الله – تعالى – عباده بالإيمان في تسعين موطناً في القرآن الكريم – كما سيأتي –، وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للناس في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع: «إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به: كتاب الله» وفي اللفظ الآخر: «كتاب الله وسنتي».

فإنه لا سعادة ولا نجاة إلا باتباع الكتاب والسنة، وما عليه السلف الصالح، ومن ترك ذلك فلا إيمان له، ومن تمسك بالكتاب والسنة جعلهما الله له نوراً يهتدي بهما، وقد قال الله – تعالى –: ﴿فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

وقال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿كِفْلَيْنِ﴾ أي: ضعفين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (في مجموع الفتاوى ٤٢٧/٢٧): "أنه لا نجاة لأحد من عذاب الله، ولا وصول له إلى رحمة الله إلا بواسطة الرسول بالإيمان به، ومحبته، وموالاته، واتباعه، وهو الذي ينجيه الله به من عذاب الدنيا والآخرة، وهو الذي يوصله إلى خير الدنيا والآخرة، فأعظم النعم وأنفعها

نعمة الإيمان، ولا تحصل إلا به، وهو أنصح وأنفع لكل أحد من نفسه وماله؛ فإنه الذي يخرج الله به من الظلمات إلى النور لا طريق له إلا هو، وأما نفسه وأهله فلا يغنون عنه من الله شيئاً، وهو دعا الخلق إلى الله بإذن الله كما قال – تعالى –: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾. والمخالف له يدعو إلى غير الله بغير إذن الله، ومن اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه إنما يدعو إلى الله ورسوله، وقوله – تعالى –: ﴿بِإِذْنِهِ﴾، أي بأمره وما أنزله من العلم، كما قال – تعالى –: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، فمن اتبع الرسول دعا إلى الله على بصيرة أي على بينة....".

وقال – رحمه الله – (كما في مجموع الفتاوى ٢٨١/٧): "الإيمان المطلق: الذي أهله هم المؤمنون حقاً، فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق في كتاب الله – تعالى – كما دل عليه الكتاب والسنة، ولهذا قال – تعالى –: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، **فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب**، والريب يكون في علم القلب، وفى عمل القلب بخلاف الشك؛ فإنه لا يكون إلا في العلم، ولهذا لا يوصف باليقين إلا من اطمأن قلبه علماً وعملاً، وإلا فإذا كان عالماً بالحق، ولكن المصيبة أو الخوف أورثه جزعاً عظيماً لم يكن صاحب يقين، قال – تعالى –: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، وكثيراً ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق، ثم يتوب الله عليه، وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق، ويدفعه الله عنه...".

وقال ابن القيم – رحمه الله – (في الفوائد ص٥٩): "أكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد، قال: الجنيد والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص، ولا يتمكن من جهاد عدوه

في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً، فمن نُصر عليها نصر على عدوه، ومن نصرت عليه، نصر عليه عدوه".

وقال – أيضاً – (في روضة المحبين ص ٤٧٨): "الثاني والثلاثون: أن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس بدونه، قال رجل للحسن البصري – رحمه الله تعالى –: يا أبا سعيد أي الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هواك، وسمعت شيخنا يقول: جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين؛ فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً".

وقال – أيضاً – (في المصدر نفسه ص: ٤٧٩): "إن إتباع الهوى يغلق عن العبد أبواب التوفيق، ويفتح عليه أبواب الخذلان، فتراه يلهج بأن الله لو وفق لكان كذا وكذا، وقد سد على نفسه طرق التوفيق باتباعه هواه، قال الفضيل بن عياض: من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق".

وقال – رحمه الله – (في زاد المعاد (٥/٣): "ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعاً على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» كان جهاد النفس مقدماً على جهاد العدو في الخارج وأصلاً له؛ فإنه ما لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمرت به، وتترك ما نهيت عنه، ويحاربها في الله لم يُمْكِنْهُ جِهَادُ عدوه في الخارج، فكيف يُمْكِنُهُ جِهَادُ عدوه والانتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له، متسلط عليه، لم يجاهده ولم يحاربه في الله، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج؟".

وقال – أيضاً – (في زاد المعاد ٣/ ٩): "فجهاد النفس أربع مراتب: **إحداها**: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين؛ فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به، ويعلّمه فمن علم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات".

قلت: وقد فسر الله التجارة المنجية من العذاب الأليم: أنها الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله بالمال والنفس في قوله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فصل
الصبر والابتلاء وارتباطه بالإيمان

ومن سنة الله في خلقه ابتلاؤهم تمحيصاً لهم، واختباراً لقوة إيمانهم، أو تعذيبهم جزاءً وفاقاً، فكل ما قوي إيمان المؤمن زيد في ابتلائه، فالصبر من الإيمان، وهو بمنزلة الرأس من الجسد، وفي الحديث: «مَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»، ولابد من أذى لكل من كان في الدنيا، فإما نعيماً وسروراً، وإما حزناً وثبوراً، والصبر هو: الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

قال – تعالى –: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾

وقد بوب البخاري الصبر على الأذى، وقول الله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ

فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ» رواه مسلم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (كما في مجموع الفتاوى١٣١/١٥) عند قول يوسف: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فقال فيها عِبْرتان، فذكر الأولى وقال: "الثانية: طلبُ سؤال الله ودعائه أن يثبت القلب على دينه ويصرفه إلى طاعته، وإلا فإذا لم يثبت القلب وإلا صبا إلى الآمرين بالذنوب وصار من الجاهلين، ففي هذا توكل على الله واستعانة به أن يثبت القلب على الإيمان والطاعة، وفيه صبر على المحنة والبلاء والأذى الحاصل إذا ثبت على الإيمان والطاعة.

وهذا كقول موسى عليه السلام لقومه، لما قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ۝ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وكذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، ومنه قول يوسف عليه السلام: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وهو نظير قوله: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، وقوله: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾، فلا بد من التقوى بفعل المأمور والصبر على المقدور، كما فعل يوسف عليه السلام: اتقى الله بالعفة عن الفاحشة وصبر على أذاهم له بالمراودة والحبس، واستعان الله ودعاه حتى يثبته على العفة، فتوكل عليه أن يصرف عنه كيدهن، وصبر على الحبس" إلى أن قال: "فإنه لابد من أذى لكل من كان في الدنيا، فإن لم يصبر على الأذى في طاعة الله، بل اختار المعصية، كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فر منه بكثير.." إلى أن قال: "ومن احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله، كما فعل يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء والصالحين، كانت العاقبة له في الدنيا

والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزنًا وثبورًا...".

وقال – رحمه الله – (كما في مجموع الفتاوى٢/٣٤٨): "فجعل البحث عن العلم من الجهاد، ولا بد في الجهاد من الصبر؛ ولهذا قال – تعالى –: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ، وقال – تعالى –: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ، **فالعلم النافع هو أصل الهدى، والعمل بالحق هو الرشاد، وضد الأول الضلال، وضد الثاني الغي، فالضلال العمل بغير علم، والغي اتباع الهوى، قال – تعالى –: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾، فلا ينال الهدى إلا بالعلم، ولا ينال الرشاد إلا بالصبر؛ ولهذا قال علي: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد – فإذا انقطع الرأس بان الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له**".

وقال– أيضاً – (في المنهاج ٤/٤٠٩): ".. الفتن إنما يعرف ما فيها من الشر إذا أدبرت، أما إذا أقبلت فإنها تزين، ويظن أن فيها خيراً؛ فإذا ذاق الناس ما فيها من الشر والمرارة والبلاء، صار ذلك مبيناً لهم مضرتها، وواعظاً لهم أن يعودوا في مثلها كما أنشد بعضهم:

الحرب أول ما تكون فتية ... تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ... ولت عجوزاً غير ذات حليل

شمطاء ينكر لونها وتغيرت ... مكروهة للشم والتقبيل

... ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين تبين له أنه ما دخل فيها أحد فحمد عاقبة دخوله؛ لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه؛ ولهذا كانت من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به الذي قال الله فيه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾".

وقال – أيضاً – (في منهاج السنة٤/٥٢٧) بعد كلام عن الأئمة وجورهم: "وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم **من الصبر على جور الأئمة**، وترك قتلهم والخروج عليهم: هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح، بل فساد".

قلت: وقد تواترت النصوص في الأمر بالصبر على جور الأئمة، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «اصبر وإن كان عبداً حبشياً»، وقوله: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»، ومن أقوال أهل العلم قول الإمام ابن عبد البر – رحمه الله –:

"فالصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه"، وقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "كان من العلم والعدل المأمور به **الصبر على ظلم الأئمة وجورهم**" وقوله – رحمه الله –: "**فالصبر على الأذى في العرض أولى وأولى**"، وكل ذلك امتثالاً لقول الله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، وقوله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، – وستأتي في طاعة ولاة الأمر –.

وقال ابن القيم – رحمه الله – (في زاد المعاد ٣/١٠): "وأما جهاد الشيطان فمرتبتان:

إحداهما: جهاده على دفع ما يُلقى إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يُلقى إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات.

فالجهاد الأول: يكون بعده اليقين، والثاني يكون **بعده الصبر** قال – تعالى –: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، **فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات**".

وقال (في إغاثة اللهفان ٢/١٦٢): "فليس لمن قد فتن بفتنة دواء مثل الصبر فإن صبر كانت الفتنة ممحصة له ومخلصة من الذنوب، كما يخلص الكير خبث الذهب والفضة".

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – رحمه الله – (في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص٤١٥): "قوله: فإن لو تفتح عمل الشيطان: أي ما فيه من التأسف على ما فات، **والتحسر، ولوم القدر، وذلك ينافي الصبر والرضى، والصبر واجب والإيمان بالقدر فرض**، قال – تعالى –: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وقال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً من القرآن**، قال شيخ الإسلام – رحمه الله –، وذكر حديث الباب بتمامه، ثم قال في معناه: لا تعجز عن مأمور، ولا تجزع عن مقدور، ومن الناس من يجمع كلا الشرين، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالحرص على النافع والاستعانة بالله والأمر يقتضي الوجوب، وإلا فالاستحباب، ونهى عن العجز، وقال: إن الله يلوم على العجز، والعاجز ضد الذين هم ينتصرون، **فالأمر بالصبر والنهي عن العجز مأمور به في مواضع كثيرة**؛ وذلك لأن الإنسان بين أمرين: **أمرٌ، أَمَرَ بفعله، فعليه أن يفعله ويحرص عليه ويستعين الله ولا يعجز، وأمرٌ أصيب به من غير فعله، فعليه أن يصبر عليه ولا يجزع منه**، ولهذا قال بعض العقلاء، ابن المقفع أو غيره، الأمور أمران: أمرٌ فيه حيلة فلا تعجز عنه، وأمرٌ لا حيلة فيه فلا تجزع منه، وهذا في جميع الأمور لكن عند المؤمن: الذي فيه حيلة هو ما أمره الله به وأحبه له؛ فإن الله لم يأمره إلا بما فيه حيلة له، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وقد أمره بكل خير له فيه حيلة، وما لا حيلة له فيه ما أصيب به من غير فعله.

واسم الحسنات والسيئات يتناول قسمين: فالأفعال مثل قوله – تعالى –: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾، ومثل قوله – تعالى –: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، ومثل قوله – تعالى

-: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، ومثل قوله — تعالى -: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُه﴾ إلى آيات كثيرة من هذا الجنس والله أعلم.

والقسم الثاني: ما يجري على العبد بغير فعله من النعم والمصائب، كما قال - تعالى -: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ والآية قبلها فالحسنة في هاتين الآيتين: النعم، والسيئة: المصائب هذا هو الثاني من القسمين.

وأظن شيخ الإسلام - رحمه الله - ذكره في هذا الموضع ولعل الناسخ أسقطه والله أعلم" إلى أن قال - رحمه الله -: "فإن الإنسان ليس مأموراً أن ينظر إلى القدر عندما يؤمر به من الأفعال، ولكن عندما يجري عليه المصائب التي لا حيلة له في دفعها، **فما أصابك بفعل الآدميين أو بغير فعلهم فاصبر عليه وارض وسلَّم**، قال: - تعالى -: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾، ولهذا قال آدم لموسى: أتلومُني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى؛ لأن موسى قال له: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فلامه على المصيبة التي حصلت بسبب فعله لا لأجل كونها ذنباً، وأما كونها لأجل الذنب ـ كما يظنه طوائف من الناس، فليس مراداً بالحديث؛ فإن آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولا يجوز لوم التائب باتفاق الناس".

قلت: وقد خاطب الله عباده المؤمنين فأمرهم بالصبر، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وخاطب موسى عليه السلام قومه فأمرهم بالصبر امتثالاً لأمر ربه، فقال: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقد أمر رسول الله صلى عليه وسلم أمته بالصبر امتثالاً لأمر ربه، فقال: «سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني» أي الذين يأمروننا يستأثرون علينا، وهذا من الظلم.

وقد أتمَّ الله الأمر على بني إسرائيل الذين كانوا آمنوا بموسى بسبب صبرهم كما في قوله – تعالى –: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾.

فالصبر عند الشدائد والفتن صفة للمؤمنين، والامتثال للكتاب والسنة هو: حقيقة الإيمان، فالصابرون هم المهتدون المصيبون طريق الحق، وعليهم صلوات من ربهم ورحمة.

وقد بشر الله – عز وجل – عباده الصابرين – بعد أن بين لهم شيئاً من أنواع الابتلاء، كما سيأتي – بأن لهم مغفرة، وتلك هي ثمرة صبرهم، وقد تقدم حديث أبى سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقد قال حذيفة: تعودوا الصبر قبل أن ينزل بكم البلاء؛ فإنه لن يُصيبكم أشد مما أصابنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن كثير (في تفسيره ٣٧١/٦) عند قوله – تعالى –: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، "أي: لما كانوا صابرين على أوامر الله، وترك نواهيه وزواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ثم لما بدلوا وحرفوا وأولوا، سلبوا ذلك المقام، وصارت قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعه، فلا عمل صالحاً، ولا اعتقاد صحيحاً؛ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾.

قال قتادة وسفيان: لما صبروا عن الدنيا: وكذلك قال الحسن بن صالح.

قال سفيان: هكذا كان هؤلاء، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماماً يُقتدى به حتى يتحامى عن الدنيا.

قال وكيع: قال سفيان: لا بد للدين من العلم، كما لا بد للجسد من الخبز، ...، وقال علي رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ألم تسمع

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾، قال: لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوساً، قال بعض العلماء: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين".

قال القرطبي – رحمه الله – (في تفسيره ٣٧١/١): عند قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾" فيه ثمان مسائل: الأولى – قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ الصبر: الحبس في اللغة...، الثانية – أمر – تعالى – بالصبر على الطاعة، وعن المخالفة في كتابه، فقال: ﴿وَاصْبِرُوا﴾ يقال فلان صابر عن المعاصي، وإذا صبر عن المعاصي فقد صبر على الطاعة هذا أصح ما قيل، قال النحاس: ولا يقال لمن صبر على المصيبة: صابر إنما يقال صابر على كذا.

فإذا قلت صابر مطلقاً فهو على ما ذكرنا قال الله – تعالى –: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾" إلى أن قال: "الرابعة: الصبر على الأذى والطاعات من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها ومنعها من تطاولها وهو من أخلاق الأنبياء والصالحين قال يحيى بن اليمان: الصبر ألا تتمنى حالة سوى ما رزقك الله، والرضا بما قضى الله من أمر دنياك وآخرتك.

وقال الشعبي قال علي رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

وقال الطبري: وصدق علي رضي الله عنه، وذلك أن الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، فمن لم يصبر على العمل بجوارحه لم يستحق الإيمان بالإطلاق، فالصبر على العمل بالشرائع نظير الرأس من الجسد للإنسان الذي لا تمام له إلا به".

قلت: ومن ذلك الصبر على الأثرة في طاعة السلطان في غير معصية الله، وذلك كله يكون امتثالاً لأمر الله، وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام.

وقد قال الله – سبحانه – عن ذكر شيء من أنواع الابتلاء: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

وهنا أمرٌ من الله لعباده المؤمنين بالصبر، وهو عام في كل ما يتعرض له العبد من الابتلاء في الدنيا.

وقبل ذكره سبحانه لبعض أنواع الابتلاء في الآية — السابقة – أرشد عباده بأن يستعينوا بالصبر والصلاة، فقال: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

فلابد أن يَعْرِضَ للإنسان في الدنيا بعض الفتن أكانت ابتلاءً أو امتحاناً أو اختباراً أو فضيحةً أو عذاباً، وتكون في النفس والمال والأهل وبتسلط الناس بعضهم على بعض وغير ذلك، وفيها يجب الصبر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»[1] صححه الألباني.

ففي تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (١٨٦/٦): "والمقصود الحث على الصبر على البلاء بعد وقوعه لا الترغيب في طلبه للنهي عنه".

وفيها – أيضاً – (٦٥/٧): "أي اختبرهم بالمحن والرزايا"

وفي التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٦٥٣/١) قال: "من ابتلاؤه أعظم فجزاؤه أعظم، «وإن الله – تعالى – إذا أحب قوماً ابتلاهم»، اختبرهم بالمحن والرزايا «فمن رضي» بما ابتلاه به «فله الرضا» منه تعالى وجزيل الثواب «ومن سخط» أي كره قضاءه به «فله السخط» منه تعالى وأليم العذاب ومن يعمل سوءاً يجز به، والمقصود الحث على الصبر على البلاء بعد وقوعه لا الترغيب في طلبه للنهي عنه".

قال ابن كثير – رحمه الله – (في تفسيره ٤٩٨/٣) عند قول الله – تعالى –: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، "يذكر — تعالى – أنه فرقهم في الأرض أمما، أي:

---

(١) ومن هذا الحديث يتبين لنا أن الذين خرجوا على ولاتهم في البلاد العربية عن طريق الثورات والمظاهرات هم من الذين سخط الله عليهم حيث قد زين لهم الشيطان الخروج بالثورة على حكامهم، فخالفوا سبيل الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، واتبعوا سبيل الشيطان، فزين لهم أعمالهم: وكانوا مستبصرين في ضلالتهم، مُعْجبين بها، يحسبون أنهم على هدى وصواب، وهم على الضلال.

طوائف وفرقاً، كما قال – تعالى –: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾.

﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: فيهم الصالح وغير ذلك، كما قالت الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾، ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ﴾ أي: اختبرناهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي: بالرخاء والشدة، والرغبة والرهبة، والعافية والبلاء، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾".

وقال – أيضاً – (في تفسيره١/٢٥٩): "وقيل: المراد بقوله: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيم﴾: إشارة إلى ما كانوا فيه من العذاب الـمُهين من ذبح الأبناء، واستحياء النساء؛ قال القرطبي: وهذا قول الجمهور ولفظه بعدما حكى القول الأول، ثم قال: وقال الجمهور: الإشارة إلى الذبح ونحوه، والبلاء هاهنا في الشر، والمعنى في الذبح مكروه وامتحان".

قلت: وقد تقدم في المقدمة أن من الفتنة: العذاب، والابتلاء، والاختبار، والفضيحة، ومن هذا الباب ما يحدث من مظاهرات ومسيرات، فقد اجتمع فيها العذاب، والابتلاء، والاختبار، والفضيحة، وما هو أخطر من ذلك، فمن دخل فيها فقد جمع بين العذاب والفضيحة، وكان على الخروج المذموم المحرم، والمصيبة أن هناك من يطالب بتقنين الأحكام الوضعية مما يؤدي إلى الزندقة والإلحاد، أما من لم يدخل في هذه الفتنة واعتزلها وأنكرها حسب مراتب إنكار المنكر، ونصر سلطانه فهو المؤمن صاحب السنة، وقد أطاع الله والرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن نصر السلطان وإنكار المنكر واجب، لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد الخُدري: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».

ولا يسقط إنكار المنكر بعمومه، ولكن عند عدم الاستطاعة يسقط تدريجياً على حسب مراتب الإنكار، الأولى، والثانية، ولا تسقط مرتبة أضعف الإيمان[1].

---

[1] وهنا يظهر جهل وظلال من رأى أن إنكار المنكر يسقط عند الضرورة بعمومه؛ فكيف يسقط ومرتبة أضعف الإيمان محلها القلب؟!.

ثم إن المؤمن قد يبتلى على حسب دينه، ففي حديث سعد بن أبي وقاص قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة».

وقال حذيفة كما في صحيح مسلم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أُشرِبَها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه».

وفي الصحيحين عن أسامة أن النبي صلى الله عليه وسلم أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال: «هل ترون ما أرى إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر».

وفي حديث سعيد الخدري – رضي الله عنه – كما في صحيح البخاري أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن».

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي يغربل الناس فيه غربلة، وتبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم فاختلفوا وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه» قالوا: كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك؟، قال: «تأخذون بما تعرفون وتدعون ما تنكرون وتقبلون على خاصتكم وتذرون أمر عوامكم» رواه ابن ماجة وصححه الشيخ الألباني.

فصل

أهمية الإمامة وعدم الافتراق

الإمامة من أعظم الواجبات التي أمر الله بها عباده المسلمين، فقد أمرهم أن يجتمعوا على حبل الله – عز وجل – ولا يتفرقوا ولا يتنازعوا فيما بينهم، معتصمين بحبل الله جميعاً؛ لأنه لا نجاة لأي أمة من فتنة التفرق والتنازع إلا بالتمسك بالكتاب والسنة، وتسليم أمرها لقائد مسلم يقودها تجتمع عليه الكلمة، وتخضع له الآراء؛ لما تقتضيه مصالح المسلمين، فالأمة الإسلامية معرضة في كل وقت لظهور طائفة فيها تبغي وتشق عصا المسلمين، يسوقها هواء أو أفكار جانحة باسم الدين والإصلاح، ولا سبيل إلى إطفاء نار مثل هذه الفتنة إلا بواسطة إمام مسلم عادل، يوضح للأمة المنهج السليم، ويحذرها ويمنعها من الانصياع للسبل الأخرى، فإن الأمة عندئذ لا يمكن أن تقع في الحيرة أو اللبس؛ لأن ما يأمر به الإمام في غير معصية الخالق هو الذي يجب العمل به في حكم الله – عز وجل –؛ ولأنه عند غياب الإمام فإن أصحاب الدعوات المختلفة يوقعون المسلمين في حيرة مهلكة ويجعلونهم أشتاتاً متفرقين، فينقسمون شيعاً وأحزاباً متطاحنة يفنيها الشقاق، ويهلكها الخلاف.

والله أمر عباده المؤمنين بالاعتصام بحبل الله وعدم الافتراق؛ فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

ونهاهم عن التنازع فقال – عز وجل –: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وأرشدهم – تعالى – في حال حدوث النوازل في الرد إلى الرسول وأهل العلم فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وحذر – سبحانه – سلوك أهل الزيغ والفرقة، فقال – سبحانه –: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

فمن تمسك بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام نجا من التفرق المذموم.
فعُلم من ذلك أن طاعة الأئمة وإن جاروا هي سبيل الصراط المستقيم؛ لقوله – عز وجل –: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولقوله: «تسمعُ وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» خرجه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فأخبر صلى الله عليه وسلم في الحديث الأول أن طاعته طاعة لله، وأن طاعة الأمير طاعة له، وقد عطف الله طاعة الرسول على طاعته – سبحانه – فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وقد حذرهم من التولي فقال – سبحانه –: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.
قال ابن كثير (في تفسيره ٣٤٥/٢)، عند قوله – تعالى –: ﴿وأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ بعد أن ذكر الأحاديث التي تنص على وجوب طاعة ولاة الأمر قال: "فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء، ولهذا قال – تعالى –: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ أي: اتبعوا كتابه، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي: خذوا بسنته، ﴿وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ أي: فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله....، وقوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله.
فهذا أمر من الله – عز وجل – بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال – تعالى –: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهد له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال – تعالى –: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي: ردوا الخصومات والجهالات".

قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري – رحمه الله – (في الشريعة ٢٨/١ – ف٤٨): "فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام، عدلاً كان الإمام

أو جائراً، فخرج وجمع جماعة، وسل سيفه، واستحل قتال المسلمين، فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم، إذا كان مذهبه مذهب الخوارج"، ثم ساق الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحذير من الخوارج إلى أن قال – رحمه الله –: "قد ذكرت من التحذير من مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله — تعالى – عن مذهب الخوارج، ولم ير رأيهم، وصبر على جور الأئمة، وحيف الأمراء، ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله — تعالى – كشف الظلم عنه، وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح، وحج معهم، وجاهد معهم كل عدو للمسلمين، وصلى معهم الجمعة والعيدين، فإن أمروه بطاعة فأمكنه أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروه بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت الفتن بينهم لزم بيته وكف لسانه ويده، ولم يهو ما هم فيه، ولم يعن على فتنة، فمن كان هذا وصفه كان على الصراط المستقيم إن شاء الله".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (في السياسة الشرعية ص ٢١٧، وفي الحسبة ص١١٨): "يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بدّ لهم عند الاجتماع من رأس، ...، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد، والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد، ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا تتمّ إلا بالقوة والإمارة، ولهذا روي أن السلطان ظلّ الله في الأرض، ويقال: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان والتجربة تبين ذلك".

وقال – رحمه الله – (في منهاج السنة ٢٨٣/١): "ومن المعلوم أن الناس لا يصلحون إلا بولاة، وأنه لو تولى من هو دون هؤلاء من الملوك الظلمة لكان ذلك خيراً من عدمهم كما يقال ستون سنة مع إمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام، ويروى عن علي رضي الله عنه، أنه قال: لا بد للناس من إمارة، برة كانت أو فاجرة، قيل له: هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة، قال يؤمّن بها السبيل،

ويقام بها الحدود، ويجاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء، ذكره علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية، وكل من تولى كان خيراً من المعدوم المنتظر".
قلت: وكل ما تقدم يدل على أهمية الإمامة، وإن الإمام لابد منه وإن كان جائراً.

فصل
وجوب طاعة ولاة الأمر وإن جاروا

تقدم الكلام عن الإيمان، والابتلاء والصبر، ومنزلة الصبر من الإيمان، **وأن** الإمامة من أعظم الواجبات التي أمر الله بها عباده المسلمين.
وفي هذا الفصل بيان وجوب طاعة ولاة الأمر وإن جاروا؛ لأن الله أمر بطاعتهم في محكم كتابه، وقد تواترت النصوص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجوب طاعة أولي الأمر والصبر على جورهم؛ لما يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم؛ وفي الصبر على جورهم تكفير للسيئات ومضاعفة للأجور — كما سيأتي —.
فطاعتهم في غير معصية الخالق واجبة، والخروج عليهم فيما يترتب عليه مفسدة محرم بنص كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإجماع المسلمين، بل إن طاعتهم في المعروف طاعة لله ورسوله، ومخالفتهم مخالفة لله ورسوله.
قال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وأولي الأمر: هم الأمراء والعلماء.

قال الطبري – رحمه الله – (في تفسيره ٥٠٢/٨) عند تفسير الآية المشار إليها:
"وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هم الأمراء والولاة؛ لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعةً، وللمسلمين مصلحة".

وقال ابن كثير – رحمه الله – (في تفسيره ٢/ ٣٤٥) عند الآية المذكورة: "فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء، ولهذا قال – تعالى –: ﴿أَطِيعُوا اللَّه﴾ أي: اتبعوا كتابه، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُول﴾ أي: خذوا بسنته، ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم﴾ أي: فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله".

وقال الشوكاني (في فتح القدير ٢/١٦٦): "لما أمر – سبحانه – القضاة والولاة إذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالحق، أمر الناس بطاعتهم ها هنا، وطاعة الله – عزّ وجلّ – هي امتثال أوامره ونواهيه، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم هي فيما أمر به ونهى عنه.

وأولي الأمر هم: الأئمة، والسلاطين، والقضاة، وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية، والمراد: طاعتهم فيما يأمرون به، وينهون عنه ما لم تكن معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله".

وقال ابن أبي العز – رحمه الله – (في شرح الطحاوية ٢/٤٢٢): "فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله – تعالى –: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ كيف قال: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؟؛ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول للدلالة على أن من أطاع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله.

وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا؛ فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله – تعالى – ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد بالاستغفار والتوبة وإصلاح العمل.

قال — تعالى —: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، وقال — تعالى —: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، وقال — تعالى —: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾، ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم. فليتركوا الظلم" انتهى كلام ابن أبي العز.

قلت: وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم»، قالوا: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة»، وفي رواية: قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة».

وفي الصحيحين عن ابن عباس: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية».

وفيهما — أيضاً —: عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلته جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه».

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» رواه البخاري

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني»، وزادت رواية البخاري على ما تقدم: «وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً وإن قال بغيره فإن عليه منه»

وعن حذيفة بن اليمان قال قلت: يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: هل من وراء ذلك الشر خير؟ قال: «نعم» قلت: فهل من وراء ذلك الخير شر؟ قال: «نعم» قلت: كيف؟ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»[1] قال: قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» رواه مسلم.

وعن عرفجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»، رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت كما في صحيح مسلم قال: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم».

وعن زيد بن محمد عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبى عبد

---

(١) فهذا وصف كل زعيم يقود ثواراً أو متظاهرين.

الرحمن وسادة فقال: إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» رواه مسلم.

وعن الحارث الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آمركم بخمس: بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله، وإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم». رواه أحمد والترمذي، صححه الشيخ الألباني.

وحديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكر سلم ولكن من رضي وتابع»، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا ما صلوا» رواه مسلم.

قال النووي (في شرحه على مسلم ٦/٣٢٧): "وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «فمن عرف فقد برئ»، وفي الرواية التي بعدها: «فمن كره فقد برئ»، فأما رواية من روى: «فمن كره فقد برئ»، فظاهرة، ومعناه: من كره ذلك المنكر، فقد برئ من إثمه وعقوبته، وهذا في حق من لا يستطيع إنكاره بيده لا لسانه فليكرهه بقلبه، وليبرأ.

وأما من روى: «فمن عرف فقد برئ»، فمعناه – والله أعلم – فمن عرف المنكر ولم يشتبه عليه؛ فقد صارت له طريق إلى البراءة من إثمه وعقوبته بأن يغيره بيده أو بلسانه، فإن عجز فليكره بقلبه.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ولكن من رضي وتابع»، معناه: لكن الإثم والعقوبة على من رضي وتابع، وفيه: دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت، بل إنما يأثم بالرضى به، أو بألا يكرهه بقلبه أو بالمتابعة عليه.

وأما قوله: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا»، ففيه معنى – ما سبق –: أنه لا يجوز الخروج .. بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الإسلام".

وقال الشيخ محمد عبد الرؤوف (في فيض القدير شرح الجامع الصغير ١٣٠/٤):
"«ستكون أمراء»، جمع أمير، «فتعرفون وتنكرون» صفتان لأمراء والعائد فيهما محذوف، أي: تعرفون بعض أحوالهم وأقوالهم لموافقتها للشرع، وتنكرون بعضها لمخالفتها له، فمعنى تعرفون: ترضون لمقابلتها تنكرون، «فمن كره» ذلك المنكر بلسانه بأن أمكنه تغييره بالقول فقد «برئ» من النفاق والمداهنة، «ومن أنكر» بقلبه فقط ومنعه الضعف عن إظهار النكير فقد «سلم» من العقوبة على تركه النكير ظاهراً، «ولكن من رضي»، أي من رضي بالمنكر، «وتابع» عليه في العمل، فهو الذي لم يبرأ من المداهنة والنفاق، ولم يسلم من العقوبة، فهو الذي شاركهم في العصيان واندرج معهم تحت اسم الطغيان، فحذف الخبر لدلالة الحال وسياق الكلام على أن حكم هذا القسم ضد ما اشتبه ذكره، ومنه أخذ بعضهم قوله: الواو بمعنى أو وحذف جزءاً منه لدلالة الحال وسياق الكلام".

وفي الصحيحين عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».
والنصيحة للسلطان لا بد أن تكون سراً لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عياض بن غنم: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه».
وهذا الحديث هو مفسر للحديث: «أفضل الجهاد كلمة عدل – وفي رواية: حق – عند سلطان جائر»، والكلمة لا تكون جهراً أمام الناس، كما تزعم الرافضة والخوارج، بل أن هذا المسلك انحراف عظيم، وضلال مبين.
والخروج على ولاة الأمر من الظلم؛ لأنه خروج عن طاعة الله ورسوله، وما عليه سلف الأمة – كما تقدم –؛ ولأنه يترتب على الخروج مفاسد عظيمة.
وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: "إذا رضي الله عن قوم ولّى أمرهم خيارهم، وإذا سخط الله على قوم ولّى أمرهم شرارهم بما كانوا يكسبون، ثم تلا قوله: ﴿وكذلك نُوَلّى بَعْضَ الظالمين بَعْضاً﴾". صححه الألباني.
وعن ابن مسعود: "من أعان ظالماً سلطه الله عليه".

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده
وما مـن يد إلا يد الله فوقهـا ولا ظـالم إلا سيبـــلى بظالم

قال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – في كتابه: (اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/١٨٠): "والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر لا يترك، وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم، ...، ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق...".

قال أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال – رحمه الله – (في السنة١/١٣٣– ف: ٩٠): "وأخبرني علي بن عيسى قال: سمعت حنبل يقول في ولاية الواثق: اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبد الله أبو بكر بن عبيد وإبراهيم بن علي المطبخي وفضل بن عاصم، فجاؤوا إلى أبي عبد الله، فاستأذنت لهم، فقالوا يا أبا عبد الله: هذا الأمر قد تفاقم وفشا – يعنون إظهاره لخلق القرآن وغير ذلك – فقال لهم أبو عبد الله: فما تريدون؟، قالوا: إنا نّشاورك في أنا لسنا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فناظرهم أبو عبد الله ساعة، وقال لهم: عليكم بالنكرة بقلوبكم ولا تخلعوا يداً من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماءكم".

وقال البربهاري – رحمه الله – (في شرح السنة ص ٢٩)، قال: (في الفقرة ٢٣) "والسمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى، ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به، فهو أمير المؤمنين لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمام، براً كان أو فاجراً".

وقال: (في الفقرة ٢٤): "ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، فهو خارجي قد شق عصا المسلمين، وخالف الآثار، وميتته ميتة جاهلية".

وقال (في الفقر ٢٥): "ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه وإن جار؛ وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر الغفاري: «اصبر وإن كان عبداً حبشياً»، وقوله للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض، وليس من السنة قتال السلطان؛ فإن فيه فساد الدنيا والدين».

وقال – رحمه الله – (ص٥١): "وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة – إن شاء الله –، يقول فضيل بن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان، قيل له: يا أبا علي فسر لنا هذا، قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدني، وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد، فأُمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا؛ لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين".
وقال – أيضاً – (في ص٥٧): "ومن قال الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره".

قال الإمام ابن عبد البر – رحمه الله – (في الاستذكار (٤١/١٤): "فالصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه؛ لأنّ في منازعته والخروج عليه: استبدال الأمن بالخوف، وإراقة الدماء، وانطلاق أيدي الدهماء، وتبييت الغارات على المسلمين، والفساد في الأرض، وهذا أعظم من الصبر على جور الجائر".

وقال النووي (في شرح صحيح مسلم١/١٤٤): "وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم.

قال الخطابي – رحمه الله –: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (كما في مجموع الفتاوى ١٧٩/٢٨): "إنه لا يعلم العدل والظلم إلا بالعلم، فصار الدين كله العلم والعدل، وضد ذلك الظلم والجهل، قال الله – تعالى –: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، وذلك يقع من الرعاة تارة، ومن الرعية تارة، ومن غيرهم تارة،[و] **كان من العلم والعدل المأمور به الصبر على ظلم الأئمة وجورهم، كما هو من أصول أهل السنة والجماعة**، وكما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث المشهورة عنه، لما قال: «إنكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»، وقال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه»، إلى أمثال ذلك، وقال: «أدوا إليهم الذي لهم واسألوا الله الذي لكم»، ونهوا عن قتالهم ما صلوا؛ وذلك لأن معهم أصل الدين المقصود: وهو توحيد الله وعبادته، ومعهم حسنات وترك سيئات كثيرة، وأما ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ، فلا يجوز أن يزال لما فيه من ظلم وجور، كما هو عادة أكثر النفوس تزيل الشر بما هو شر منه، وتزيل العدوان بما هو أعدى منه، فالخروج عليهم يوجب من الظلم الفساد من ظلمهم، فيصبر عليه كما يصبر عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على ظلم المأمور والمنهي في مواضع كثيرة: كقوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، وقوله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وهذا عام في ولاة الأمر وفى الرعية إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فعليهم أن يصبروا على ما أصيبوا به في ذات الله، كما يصبر المجاهدون على ما يصاب من أنفسهم وأموالهم، فالصبر على الأذى في العرض أولى وأولى، ...؛ لأن مصلحة الأمر والنهى لا تتم إلا بذلك، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ويندرج في ذلك ولاة الأمور؛ فإن عليهم من الصبر والحلم ما ليس على غيرهم، كما أن عليهم من الشجاعة والسماحة ما ليس على

غيرهم؛ لأن مصلحة الإمارة لا تتم إلا بذلك، فكما وجب على الأئمة الصبر على أذى الرعية وظلمها إذا لم تتم المصلحة إلا بذلك، إذ كان تركه يفضى إلى فساد أكثر منه، فكذلك يجب على الرعية الصبر على جور الأئمة وظلمهم...".

وقال – أيضاً – (كما في المجموع ١٢/٣٥): "وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور، وغشهم، والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديماً وحديثاً، ومن سيرة غيرهم وقد ثبت في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند إسته بقدر غدره» قال: «وإن من أعظم الغدر...»، يعنى بإمام المسلمين، وهذا حدث به عبد الله بن عمر لما قام قوم من أهل المدينة يخرجون عن طاعة ولي أمرهم ينقضون بيعته، وفي صحيح مسلم عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس يخرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية»...".

وقال – أيضاً – (في منهاج السنة النبوية ٢٦٢/٤، ٥٢٧): "فإن الله – تعالى – بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تولى خليفة من الخلفاء: كيزيد، وعبد الملك، والمنصور، وغيرهم، فإما أن يقال يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يولى غيره، كما يفعله من يرى

السيف[1]، فهذا **رأى فاسد**؛ فإن مفسدة هذا أعظم من مصلحته، وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة: وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضاً، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة، وأمثال هؤلاء وغاية هؤلاء إما أن يغلبوا، وإما أن يغلبوا ثم يزول ملكهم، فلا يكون لهم عاقبة؛ فإن عبد الله بن علي وأبا مسلم هما اللذان قتلا خلقاً كثيراً، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور، وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم، فهزموا وهزم أصحابهم، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا، والله – تعالى – لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم، وكذلك أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق، وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين، والله يغفر لهم كلهم.

وقد قيل للشعبي في فتنة ابن الأشعث: أين كنت يا عامر؟، قال كنت حيث يقول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطير ...

أصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء.

وكان الحسن البصري يقول: إن الحجاج عذاب الله فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع؛ فإن الله – تعالى – يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾، وكان طلق بن حبيب يقول: اتقوا الفتنة بالتقوى، فقيل له: أجمل لنا التقوى، فقال: أن تعمل بطاعة

---

[1] أي الخوارج، وفي هذا العصر سلكوا تنظيماً سرياً في الخروج فكان خطرهم أشد وأخطر، فقاتلوا تحت راية عمية، وسعوا في الأرض فساداً، واستنفذوا جهدهم لشق عصا المسلمين وسفك دمائهم، وبذلوا الجهد لتحصيل المفاسد وتكثيرها، وتعطيل المصالح وتقليلها.

الله على نور من الله ترجو رحمة الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله، رواه أحمد وابن أبي الدنيا.

وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث، ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين، وباب قتال أهل البغي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشتبه بالقتال في الفتنة، وليس هذا موضع بسطه، ومن تأمل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب واعتبر – أيضاً – اعتبار أولى الأبصار علم أن الذي جاءت به النصوص النبوية خير الأمور، ولهذا لما أراد الحسين رضي الله عنه أن يخرج إلى أهل العراق لما كاتبوه كتباً كثيرة أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين: كابن عمر وابن عباس وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن لا يخرج، وغلب على ظنهم أنه يقتل حتى إن بعضهم قال: أستودعك الله من قتيل، وقال بعضهم: لولا الشفاعة لأمسكتك ومصلحة المسلمين، والله ورسوله إنما يأمر بالصلاح لا بالفساد، لكن الرأي يصيب تارة ويخطئ أخرى، فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك، ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن حصل لو قعد في بلده؛ فإن ما قصده من تحصيل الخير، ودفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشر بخروجه وقتله ونقص الخير بذلك، وصار ذلك سبباً لشر عظيم، وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن، كما كان قتل عثمان مما أوجب الفتن، **وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصبر على جور الأئمة، وترك قتلهم والخروج عليهم: هو أصلح الأمور للعباد**

في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح، بل فساد، ولهذا أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على الحسن بقوله: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»، ولم يثن على أحد لا بقتال في فتنة، ولا بخروج على الأئمة، ولا نزع يد من طاعة، ولا مفارقة للجماعة...".

وقال – أيضاً – (في منهاج السنة ٥٢٨/٤) — كما تقدم – عن من يرى السيف والخروج على أئمة الجور: "فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا، والله — تعالى – لا يأمر بأمرٍ لا يحصل فيه صلاح الدين ولا صلاح الدنيا".

وقال — رحمه الله — (في الصارم المسلول١/٢٢٩): "فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف، أو في وقت هو فيه مستضعف، فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون".

وقال (في منهاج السنة ١٩٤/٣): "كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته".

وقال — أيضاً — (في المصدر نفسه ١٨١/٤) في رده على الرافضي الذي يوجب قتل كل من تولى الأمر بعد معاوية ممن معاوية أفضل منه[1]: "هذا خلاف ما تواترت به السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم من نهيه عن قتل ولاة الأمور وقتالهم – كما تقدم بيانه – ثم الأمة متفقة على خلاف هذا، فإنها لم تقتل كل من تولى أمرها، ولا استحلت ذلك، ثم هذا يوجب من الفساد والهرج ما هو أعظم من ولاية

(١) **فتبين أن من رأى** الخروج على ولي أمره من أهل زماننا أنه قد سلك مسلك الرافضة.

كل ظالم، فكيف يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بشيء يكون فعله أعظم فساداً من تركه؟".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (في السياسة الشرعية ص٢١٧): "يجب أن يعرف أن ولاية أمور الناس، من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم، إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس"، إلى أن قال: "فإن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجب الله – تعالى – من الجهاد والعدل، وإقامة الحج والجمع والأعياد، ونصر المظلوم، ... وإقامة الحدود، لا يتم إلا بالقوة والإمارة.

ولهذا روي: أن السلطان ظل الله في الأرض، ويقال: ستون سنة من إمام جائر، أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان، والتجربة تبين ذلك، ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل وغيرهما، يقولون: لو كان لنا دعوة مستجابة، لدعونا بها للسلطان – إلى أن قال – فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً، وقربه يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله، من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة والمال".

وقال ابن رجب – رحمه الله – (في جامع العلوم والحكم ١/١٠٥): "وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فحب صلاحهم، ورشدهم، وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله – عز وجل –، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله عز وجل".

وقال – رحمه الله تعالى – (في جامع العلوم والحكم ١١/٣٠): "وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد، في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم، وطاعة ربهم، كما قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر، إن كان فاجراً عبد المؤمن فيها ربه، وحمل الفاجر فيها إلى أجله.

وقال الحسن في الأمراء: هم يلون من أمورنا خمسا: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود؛ والله لا يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن طاعتهم والله لغيظ، وإن فرقتهم لكفر".

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني – رحمه الله – (في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٩٣): "ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعية، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل".

قال ابن القيم – رحمه الله – (في إعلام الموقعين ٣٣٨/٤): "إن النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟، فقال: «لا، ما أقاموا الصلاة»، وقال: «من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يداً من طاعة»، ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر، فَطلبَ إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك؛ لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه".

وقال الإمام الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي – رحمه الله – (في الآداب الشرعية ٢٢٧/١): "قال حنبل: اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبد الله وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا – يعنون إظهار القول بخلق القرآن

وغير ذلك – ولا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فناظرهم في ذلك وقال: عليكم بالإنكار بقلوبكم ولا تخلعوا يداً من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، وقال: ليس هذا صواب، هذا خلاف الآثار [يعني الخروج]. وقال المروذي: سمعت أبا عبد الله يأمر بكف الدماء، وينكر الخروج إنكاراً شديداً...".

وقال محمد بن علي بن محمد الشوكاني – رحمه الله — (في السيل الجرار ٥٥٦/٤): "ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده ويخلو به ويبذل له النصيحة، ولا يذل سلطان الله، وقد قدمنا في أول كتاب السير هذا: أنه لا يجوز الخروج على الأئمة وإن بغوا في الظلم، أي مبلغ ما أقاموا الصلاة، ولم يظهر منهم الكفر البواح، والأحاديث الواردة في هذا المعنى متواترة، ولكن على المأموم أن يطيع الإمام في طاعة الله، ويعصيه في معصية الله؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

قال الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن – رحمهما الله – (في الدرر السنية ١١٧/٩) عند قول النبي صلى الله عليه وسلم: «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن، السمع والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»: "وهذه الخمس المذكورة في الحديث ألحقها بعضهم بالأركان الإسلامية التي لا يستقيم بناؤه ولا يستقر إلا بها، خلافاً لما كانت عليه الجاهلية، من ترك الجماعة والسمع والطاعة" إلى أن قال بعد ذكر كلام شيخ الإسلام، وابن القيم، وابن رجب السابق: "إذا فهم ما تقدم من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، وكلام العلماء المحققين، في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر، وتحريم منازعته والخروج عليه، وأن المصالح الدينية والدنيوية لا انتظام لها إلا بالإمامة والجماعة، **تبين أن الخروج عن طاعة ولي الأمر**

والافتيات عليه بغزو أو غيره معصية ومشاقة لله ورسوله، ومخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة.

وأما ما قد يقع من ولاة الأمور، من المعاصي والمخالفات التي لا توجب الكفر، والخروج من الإسلام، فالواجب فيها مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق، واتباع ما كان عليه السلف الصالح، من عدم التشنيع عليهم في المجالس ومجامع الناس، واعتقاد أن ذلك من إنكار المنكر، الواجب إنكاره على العباد، وهذا غلط فاحش، وجهل ظاهر، لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه، من المفاسد العظام في الدين والدنيا، كما يعرف ذلك من نور الله قلبه، وعرف طريقة السلف الصالح وأئمة الدين".

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – في المسألة الثانية والثالثة من مسائل الجاهلية (كما في مجموع التوحيد ١/٨٠): "**الثانية**: أنهم متفرقون في دينهم كما قال – تعالى –: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، وكذلك في دنياهم ويرون ذلك هو الصواب، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾، فقال – تعالى –: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، ونهانا عن مشابهتهم بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَات﴾.

ونهانا عن التفرق في الدين بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

الثالثة: أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة والسمع والطاعة ذل ومهانة فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذلك وأبدأ فيه وأعاد.

وهذه الثلاث التي جمع بينها فيما ذكر عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين أنه قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثا: ألا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه أمركم»، ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها".

وقال – أيضاً – (في الدرر السنية ١٢/١٢٠): "**يذكر العلماء: أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره**، فالله الله في العمل بما ذكرت لكم، والتفقه فيه، فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين، والمسلم لا يسعى إلا في صلاح دينه ودنياه، وسبب هذه القالة التي وقعت بين أهل الحوطة، لو صار أهل الدين واجباً عليهم إنكار المنكر، فلما غلظوا الكلام صار فيه اختلاف بين أهل الدين، فصار فيه مضرة على الدين والدنيا، وهذا الكلام وإن كان قصيراً فمعناه طويل، فلازم لازم تأملوه وتفقهوا فيه، واعملوا به، فإن عملتم به صار نصراً للدين، واستقام الأمر إن شاء الله.

والجامع لهذا كله: أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره، أن ينصح برفق خفية ما يشترف أحد؛ فإن وافق وإلا استلحق عليه رجلاً يقبل منه بخفية، فإن لم يفعل فيمكن الإنكار ظاهراً، **إلا إن كان على أمير، ونصحه ولا وافق، واستلحق عليه ولا وافق، فيرفع الأمر إلينا خفية**[1]...."

وقال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق – رحمه الله – (في الدرر السنية ١٢/٢٤٣) – في رسالته إلى أهل الأرطاوية، والغطغط وغيرهم ممن استخف بولاية المسلمين، وتساهل بمخالفة إمام المسلمين، والخروج عن طاعته والافتيات عليه بالغزو وغيره من بعض القبائل –: "ومما انتحله بعض هؤلاء الجهلة المغرورين: الاستخفاف بولاية المسلمين، والتساهل بمخالفة إمام المسلمين، والخروج عن طاعته، والافتيات عليه بالغزو وغيره، وهذا من الجهل والسعي في الأرض بالفساد...، يعرف ذلك كل ذي عقل وإيمان، وقد علم بالضرورة من دين الإسلام: أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وأن الخروج عن طاعة ولي أمر

---

[1] أي ليقوم الشيخ بمناصحته هو؛ لأن الأمراء في الغالب يقبلون النصيحة من العلماء المعروفين، لذلك طلب الشيخ عند عدم القبول الرفع إليه، أما غير الأمير إذا لم يتقبل النصيحة وجب بيان خطئه علناً؛ لأنه لا يترتب على المناصحة لغير الأمير مفاسد، بل المفسدة في عدم بيان الخطأ والتحذير من صاحبه إذا عاند ولا تكون المناصحة سراً وخفية إلا لولاة الأمر من الأمراء ورؤساء الدولة.

المسلمين، من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد، وقد قيل:

تهدى الأمور بأهل الرشد إن رشدت وإن تولت فبالأشرار تنقاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهـم ولا صلاح إذا جهالهم سادوا

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وأنا آمركم بخمس، السمع والطاعة، والجهاد والهجرة، والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»، وفي الحديث: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم، إخلاص العمل لله، ومناصحة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم »".

ولما سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – (كما في الفتاوى ١١٧/٧): عن المراد بطاعة ولاة الأمر في قوله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، هل هم العلماء أم الحكام ولو كانوا ظالمين لأنفسهم ولشعوبهم؟

قال: "أولو الأمر: هم العلماء والأمراء، أمراء المسلمين وعلماؤهم، يطاعون في طاعة الله إذا أمروا بطاعة الله، وليس في معصية الله.

فالعلماء والأمراء يطاعون في المعروف؛ لأن بهذا تستقيم الأحوال، ويحصل الأمن، وتنفذ الأوامر، وينصف المظلوم، ويردع الظالم، أما إذا لم يطاعوا فسدت الأمور، وأكل القوي الضعيف، فالواجب أن يطاعوا في طاعة الله في المعروف سواء كانوا أمراء أو علماء، العالم يبين حكم الله، والأمير ينفذ حكم الله، هذا هو الصواب في أولي الأمر، هم العلماء بالله وبشرعه، وهم أمراء المسلمين عليهم أن ينفذوا أمر الله، وعلى الرعية أن تسمع لعلمائها في الحق، وأن تسمع لأمرائها في المعروف، أما إذا أمروا بمعصية سواء كان الآمر أميراً أو عالماً فإنهم لا يطاعون في ذلك، إذا قال لك أمير أشرب الخمر، فلا تشربها، أو إذا قال لك كل الربا، فلا تأكله، وهكذا مع

العالم إذا أمرك بمعصية الله، فلا تطعه، والتقي لا يأمر بذلك لكن قد يأمر بذلك العالم الفاسق.

والمقصود أنه إذا أمرك العالم أو الآمر بشيء من معاصي الله فلا تطعه في معاصي الله إنما الطاعة في المعروف، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، لكن لا يجوز الخروج على الأئمة وإن عصوا، بل يجب السمع والطاعة في المعروف مع المناصحة، ولا تنزعن يداً من طاعة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «على المرء السمع والطاعة في المنشط والمكره وفيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية الله فإن أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «من رأى من أميره شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة فإنه من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق جماعتكم وأن يشق عصاكم فاقتلوه كائناً من كان»...".

وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – (كما في مجموع الفتاوى ١٨٨/٨): أن هناك من أبناء أهل السنة والجماعة من يرى هذا فكراً انهزامياً، وفيه شيء من التخاذل، ويدعون الشباب إلى تبني العنف في التغيير، فقال – رحمه الله –: "هذا غلط من قائله، وقلة فهم؛ لأنهم ما فهموا السنة ولا عرفوها كما ينبغي، وإنما تحملهم الحماسة والغيرة لإزالة المنكر على أن يقعوا فيما يخالف الشرع، كما وقعت الخوارج والمعتزلة، حملهم حب نصر الحق أو الغيرة للحق، حملهم ذلك على أن وقعوا في الباطل...، وليس لهم الخروج على السلطان من أجل معصية أو معاص وقعت منه، بل عليهم المناصحة بالمكاتبة والمشافهة، بالطرق الطيبة الحكيمة، وبالجدال بالتي هي أحسن حتى ينجحوا، وحتى يقل الشر أو يزول ويكثر الخير.

هكذا جاءت النصوص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله – عز وجل – يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

فالواجب على الغيورين لله وعلى دعاة الهدى أن يلتزموا حدود الشرع، وأن يناصحوا من ولاهم الله الأمور، بالكلام الطيب، والحكمة، والأسلوب الحسن، حتى يكثر الخير ويقل الشر، وحتى يكثر الدعاة إلى الله، وحتى ينشطوا في دعوتهم بالتي هي أحسن، لا بالعنف والشدة، ويناصحوا من ولاهم الله الأمر بشتى الطرق الطيبة السليمة، مع الدعاء لهم بظهر الغيب: أن يهديهم الله ويوفقهم، ويعينهم على الخير، وأن يعينهم الله على ترك المعاصي التي يفعلونها وعلى إقامة الحق.

هكذا يدعو المؤمن الله ويضرع إليه: أن يهدي الله ولاة الأمور، وأن يعينهم على ترك الباطل، وعلى إقامة الحق بالأسلوب الحسن وبالتي هي أحسن، وهكذا مع إخوانه الغيورين ينصحهم ويعظهم ويذكرهم حتى ينشطوا في الدعوة بالتي هي أحسن، لا بالعنف والشدة، وبهذا يكثر الخير، ويقل الشر، ويهدي الله ولاة الأمور للخير والاستقامة عليه، وتكون العاقبة حميدة للجميع".

وقال – أيضاً – (كما في مجموع الفتاوى ٢٠٢/٨): "فهذه الآية نص في وجوب طاعة أولي الأمر، وهم: الأمراء والعلماء، وقد جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين أن هذه الطاعة لازمة، وهي فريضة في المعروف ... والنصوص من السنة تبين المعنى، وتقيد إطلاق الآية بأن المراد: طاعتهم في المعروف، ويجب على المسلمين طاعة ولاة الأمور في المعروف لا في المعاصي، فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون في المعصية، لكن لا يجوز الخروج عليهم بأسبابها؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة»، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية»، وقال

صلى الله عليه وسلم: «على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»

وسأله الصحابة رضي الله عنهم – لما ذكر أنه يكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون – قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم»، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله»، وقال: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»، فهذا يدل على أنه لا يجوز لهم منازعة ولاة الأمور، ولا الخروج عليهم إلا أن يروا كفرا بواحاً عندهم من الله فيه برهان؛ وما ذاك إلا؛ لأن الخروج على ولاة الأمور يسبب فساداً كبيراً وشراً عظيماً، فيختل به الأمن، وتضيع الحقوق، ولا يتيسر ردع الظالم، ولا نصر المظلوم، وتختل السبل ولا تأمن، فيترتب على الخروج على ولاة الأمور فساد عظيم وشر كثير...".

وقال الشيخ محمد صالح العثيمين – رحمه الله – (في الشرح الممتع ١٤/٤٠٣):

"...فهؤلاء البغاة إذا لم يرجعوا، فإن الإمام يجب عليه أن يقاتلهم، ويجب على رعيته أن يعينوه على قتالهم، فإن قالت الرعية[1]: نحن لا نقاتل قوماً مسلمين، كيف نقاتلهم، وكيف نحمل السلاح عليهم؟! قلنا: لأنهم بغاة، فقتالهم من باب الإصلاح، وإذا لم يمكن الإصلاح إلا بقتالهم وجب، فيجب على الرعية طاعة الإمام إذا أمر بالخروج معه لقتال هؤلاء.

بقي أن يقال: هنا حال ثالثة؛ لأن المؤلف ذكر حالين:

الأولى: أن يكف هؤلاء عن القتال إذا بُيِّن لهم الأمر فنكف عنهم.

الثانية: ألا يرجعوا، بل يستمروا في الخروج، فحينئذٍ يجب على الإمام أن يقاتلهم، ويجب على الرعية أن يساعدوا الإمام.

---

[1] قلت: نمتثل قوله – تعالى -: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، فقد أمرهم الله بالإصلاح أولاً، ثم بمقاتلة الباغية.

الثالثة: إذا لم يكشف الشبهة، ولم يزل المظلمة، بأن قالوا: نريد إزالة المظلمة الفلانية، قال: لا أزيلها، أو نريد أن تكشف لنا وجه ما فعلت، ووجه حكمه من الكتاب والسنة، قال: لا، ففي هذه الحال إن فاؤوا فالأمر واضح وانتهى الإشكال، لكن إن أبوا قالوا: ما دمت لم تزل المظلمة، ولم تكشف الشبهة لنا، فإننا سنقاتل، فليس لهم قتاله؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول في الأمير: «اسمع وأطع، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك»، ونهى صلّى الله عليه وسلّم: أن ينزع الإنسان يداً من طاعة، إلا أن يرى كفراً بواحاً عنده فيه من الله برهان...الخ".

وقال – أيضاً – (في تفسيره ٣٣٣/٣١): " ... ومن الأصول المتفق عليها عند أهل السنة، ودلت عليه النصوص الكثيرة، أنه إذا كان للناس إمام جائر ظالم، فإن الناس يؤمرون بالصبر على جوره وظلمه، وبغيه ولا يقاتلونه وأن مجرد وجود البغي من إمام، أو من طائفة لا يبيح قتالهم، فدفع البغي لم يأذن الشرع به مطلقاً بالقتال، بل إذا كان فيه فتنة، ويترتب عليه ضرر أعظم منه وجب الكف عنه، وأمر بالصبر والاحتمال؛ لأن الشريعة مبناها على دفع أعظم المفسدتين بالتزام أقلهما ضرراً إذا لم يمكن دفع الفساد مطلقاً" إلى أن قال – رحمه الله –: "وكل ما أوجب فتنة أو فرقة بين المؤمنين فليس هو من الدين، سواء كان قولاً أو فعلاً، والفتنة والفرقة لا تقعان إلا مِن تَرْك ما أمر الله به، والله – تعالى – أمر بالحق والعدل وأمر بالصبر، والفتنة تكون من ترك الحق أو من ترك الصبر.

فالمظلوم إذا كان على حق فإنه يؤمر باحتمال الأذى والصبر على البلوى، فإذا ترك الصبر فإنه يكون تاركاً لما أمر الله به.

وإن كان المظلوم مجتهداً في معرفة الحق ولم يُصبه، ثم لم يصبر على البلوى، كان مقصراً في معرفة الحق، وآثماً بترك الصبر، ولكن قد يؤجر على اجتهاده ويعفى له عن تقصيره، وأما ترك الصبر فعليه إثم ذلك.

وأما إذا كان غير مجتهد في معرفة الحق ولم يصبر، فإنه يجتمع عليه ثلاثة ذنوب، الأول: لتركه الاجتهاد في طلب الحق، والثاني: لتركه الصبر على البلوى، والثالث: لعدم إصابته الحق ووقوعه في الخطأ.

والمقصود أنه لا يحل دفع الأذى الذي يكون في دفعه فتنة بين الأمة، أو ينتج عنه شر عظيم أو أعظم من الأذى المطلوب دفعه، أو يكون في دفعه ظلم وعدوان، بل المتعين حينئذ الصبر والاحتمال وضبط النفس، فإن ذلك في حق المظلوم ابتلاء وامتحان، وإذا صبر واحتسب كانت العاقبة له، وقد قال الله – تعالى –: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ أي يبتلى بعضكم ببعض لينظر من يصبر فيستحق الجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة.

وأخبر – تعالى – عن رسله أنهم قالوا لقومهم: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾، وقال – تعالى –: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، فجعلهم أئمة بالصبر واليقين، فبذلك تُنال الإمامة في الدين.

والخطأ يحصل في هذا إما بسبب جزع المظلوم أو بسبب قلة صبره أو ضعف رأيه؛ فإنه قد يظن أن القتال أو نحوه في الفتنة يدفع الظلم عنه ولا يدري أنه يضاعفه ويزيد الشر كما هو الواقع".

وقال – أيضاً – (كما في مجموع فتاواه ورسائله٨/٣٤٨): "فإنه يجب علينا طاعة ولاة الأمور، وإن كانوا عصاة، فنقيم معهم الحج والجهاد، وكذلك الجمع، نقيمها مع الأمراء، ولو كانوا فجاراً" إلى أن قال: "وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: بايعنا رسول الله صلي الله عليه وعلي آله وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان».

ولأننا لو تخلفنا عن متابعتهم، لشققنا عصا الطاعة التي يترتب على شقها أمور عظيمة ومصائب جسيمة.

والأمور التي فيها تأويل واختلاف بين العلماء إذا ارتكبها ولاة الأمور، لا يحل لنا منابذتهم ومخالفتهم، لكن يجب علينا مناصحتهم بقدر المستطاع فيما خالفوا فيه، مما لا يسوغ فيه الاجتهاد، وأما ما يسوغ فيه الاجتهاد، فنبحث معهم فيه بحث

تقدير واحترام، لنبين لهم الحق لا على سبيل الانتقاد لهم والانتصار للنفس، وأما منابذتهم وعدم طاعتهم فليس من طريق أهل السنة والجماعة".

وقال – أيضاً – (في تفسيره العدد٦٥، ٦٦): "..أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه يكون أئمة لا يهتدون بهديه صلى الله عليه وسلم، ولا يستنون بسنته وأخبر أن فيهم رجالاً قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان الإنس، ومع ذلك أمر بالسمع والطاعة للأمير، وإن ضرب الظهر وأخذ المال، وفي ذلك بيان وجوب طاعة السلطان، سواء كان عادلاً أو ظالماً جائراً، وهذا حماية منه صلى الله عليه وسلم للأمة من التفرق، الذي يضعفها ويجعلها نهبة للأعداء، كما هو الواقع من حال المسلمين اليوم لما تفرقوا وأصبحوا دويلات لكل دويلة حدودها واتجاهاتها".

وقال الشيخ صالح الفوزان (في إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ١١٣/١٦):

"فمن أصول أهل السنة والجماعة: أنهم لا يرون الخروج على ولاة أمر المسلمين لقول الله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: «من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»، فلا يجوز الخروج عليهم؛ ولو كانوا فساقاً؛ لأنهم انعقدت بيعتهم وثبتت ولايتهم، وفي الخروج عليهم – ولو كانوا فساقاً – مفاسد عظيمة، من شق العصا، واختلاف الكلمة، واختلال الأمن، وتسلط الكفار على المسلمين".

وقال – حفظه الله – (في شرحه لمسائل الجاهلية ص٤٧): "من مسائل الجاهلية: أنهم لا يخضعون لولي الأمر، ويرون أن هذا ذلة، ومعصية الأمير يعتبرونها فضيلة وحرية؛ ولذلك لا يجمعهم إمام ولا يجمعهم أمير؛ لأنهم لا يخضعون، وعندهم أنفة وكبر.

فجاء الإسلام بمخالفتهم، وأمر بالسمع والطاعة لولي الأمر المسلم؛ لما في ذلك من المصالح، قال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فأمر بطاعة ولاة الأمور، والرسول صلى الله عليه وسلم حدد ذلك في غير معصية، فقال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وقال: «إنما الطاعة بالمعروف» فتجب طاعة ولي الأمر في غير معصية الله، إذا أمر

بمعصية فلا يطاع، لكن لا يخالف في بقية الأمور، لا يطاع في هذه المسألة خاصة التي فيها معصية، أما بقية الأمور فلا تنتقض بيعته بسبب ذلك، ولا يخالف مادام أنه على الإسلام؛ لما في طاعة ولاة الأمور من اجتماع الكلمة، وحقن الدماء، واستتباب الأمن، وإنصاف المظلوم من الظالم، ورد الحقوق إلى أصحابها، والحكم بين الناس بالعدل، حتى ولو كان ولي الأمر غير مستقيم في دينه، حتى ولو كان فاسقاً ما لم يصل إلى الكفر، كما قال صلى الله عليه وسلم: «اسمعوا وأطيعوا، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم عليه من الله برهان»، فما دامت معاصيه دون الكفر، فإنه يسمع له ويطاع، وفسقه على نفسه، لكن ولايته وطاعته لمصلحة المسلمين.

ولهذا لما قيل لبعض الأئمة: إن فلاناً فاسق لكنه قوي، وإن فلاناً صالح لكنه ضعيف، أيهما يصلح للولاية؟ قال: الفاسق القوي؛ لأن فسقه على نفسه، وقوته للمسلمين، أما هذا الصالح؛ فإن صلاحه لنفسه وضعفه يضر المسلمين.

فيسمع له ويطاع وإن كان فاسقاً في نفسه، بل وإن جار وإن ظلم، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك»؛ لأن في طاعته مصلحة أرجح من المفسدة التي هو عليها، ولأن مفسدة الخروج عليه أعظم من مفسدة البقاء على طاعته وهو عاص؛ لأن في الخروج عليه سفكاً للدماء وإخلالاً بالأمن وتفريقاً للكلمة.

وماذا حصل للذين خرجوا على الأمراء وولاة الأمور مما قصه التاريخ؟ ماذا حصل لما أن نازغةً من الشذاذ في عهد عثمان رضي الله عنه قاموا وشقوا عصا الطاعة وقتلوا أمير المؤمنين عثمان؟ ماذا حصل على المؤمنين من النكسات إلى الآن بسبب الخروج على أمير المؤمنين وقتله؟ فلا يزال المسلمون يعانون من النكسات المتوالية والمفاسد، وكذلك في حق بقية الولاة الصبر على طاعته وإن كان فيه مفسدة جزئية أخف من مفسدة الخروج عليه؛ فلذلك أوجب النبي صلى الله عليه وسلم طاعته ما لم يخرج عن الإسلام ولو كان فاسقاً، ولو كان ظالماً، فإنه يصبر على هذه المفاسد الجزئية؛ درءاً للمفسدة العظيمة، وارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما، هذا

شيء معروف. وما من قوم خرجوا على إمامهم إلا كانت المفسدة في الخروج عليه أعظم من المفسدة في الصبر على طاعته.

وهذا فرق ما بين أهل الجاهلية وأهل الإسلام في مسألة ولاة الأمور، أهل الجاهلية لا يرون الطاعة لولاة الأمور، ويرون ذلك ذلة.

وأما الإسلام: فإنه أمر بطاعة ولاة الأمور المسلمين، وإن كان عندهم شيء من الفسق في أنفسهم، أو عندهم ظلم للناس، يصبر عليهم؛ لأن في ذلك مصالح للمسلمين، وفي الخروج عليهم مضار للمسلمين أعظم من المفاسد التي في البقاء على طاعتهم مع انحرافهم الذي لا يخرجهم عن الإسلام، هذه القاعدة العظيمة التي جاء بها الإسلام في هذا الأمر العظيم.

وأما أهل الجاهلية – كما سبق – لا يرون انعقاد ولاية، ولا يرون سمعاً ولا طاعة، ومثلهم الأمم الكافرة الآن، الذين يقولون بالحريات والديمقراطيات ماذا تكون مجتمعاتهم الآن؟ همجية، بهيمية، قتل وسلب وفساد أعراض، وشر واضطراب أمن، وهم دول كبرى، وعندهم أسلحة، وعندهم مدمرات، لكن حالتهم حالة بهيمية – والعياذ بالله– لأنهم باقون على ما كانت عليه الجاهلية.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة لهم، وأمر بالنصيحة لهم سراً بينهم وبين الناصح، وأما الكلام فيهم وسبهم واغتيابهم، فهذا من الغش لهم؛ لأنه يؤلب الناس عليهم ويفرح أهل الشر، وهذا من الخيانة لولاة الأمور، أما الدعاء لهم وعدم ذكر معائبهم في المجالس، فهو من النصيحة لهم، ومن كان يريد أن ينصح الإمام فإنه يوصل النصيحة إليه في نفسه، إما مشافهة، وإما كتابة، وإما بأن يوصى له من يتصل به ويبلغه عن هذا الشيء؛ وإذا لم يتمكن فهو معذور.

أما أنه يجلس في المجالس أو على المنابر أو أمام أشرطة ويسب ولاة الأمور ويعيبهم، فهذا ليس من النصيحة، وإنما هو من الخيانة لولاة الأمور، والنصيحة لهم تشمل الدعاء لهم بالصلاح، وتشمل ستر عيوبهم وعدم إفشائها للناس، وكذلك

من النصيحة لهم: القيام بالأعمال التي يوكلونها إلى الموظفين، ويعهدون بها إلى الولاة في القيام بها، هذا من النصيحة لولاة الأمور".

قلت: فتبين مما سبق من النصوص أن طاعة ولاة الأمر واجبة وإن جاروا، وأن الخروج عليهم محرم.

فصل
حكم من خرج على جماعة المسلمين

تقدم أهمية وجود السلطان ووجوب طاعته، وأن طاعته في المعروف طاعة لله ورسوله، ومخالفته مخالفة لله ورسوله، وأنه لا يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وظلموا، وأن ما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، كما أنه لا استقرار للأمن إلا بطاعة السلطان والتفاف رعيته حوله، وفي هذا الفصل نبين الحكم في حال الاختلاف والتنازع، وحكم من امتنع من أهل الشوكة عن الدخول في طاعة الإمام، وامتنع عن قبول التحاكم لشرع الله وسنة رسوله صلى عليه وسلم، وعمل في الأرض على خلاف الكتاب والسنة، وسعى في الأرض فساداً.

أولاً: يجب على المؤمنين رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله، كما أمرهم الله، إذ قال – سبحانه – بعد أن أمرهم بطاعة ولاة الأمر: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

وقال – عز وجل –: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(في تفسيره ٥٧٥/١٣): "يقول – تعالى ذكره – للمؤمنين به: أطيعوا أيها المؤمنون ربَّكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾، يقول: ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم ﴿فَتَفْشَلُوا﴾، يقول: فتضعفوا وتجبنوا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾".

ثانياً: يجب على المؤمنين إجابة الدعوة إذا دعوا إلى الله والرسول ليحكم بينهم. لقوله – تعالى –: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِيناً﴾.

ولقوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقد نفى الله الإيمان حتى التحاكم فيما شجر بينهم، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

ثالثاً: يجب الإصلاح حال اقتتال طائفتين من المؤمنين، ومقاتلة الباغية منهما عند عدم الإجابة، لقوله – تعالى –: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

قال الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: "بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل، فإن أبَت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له وعليه، وتعدّت ما جعل الله عدلاً بين خلقه، وأجابت الأخرى منهما، فقاتلوا التي تعتدي، وتأبى الإجابة إلى حكم الله حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه، فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله في كتابه، فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى التي قاتلتها بالعدل، وذلك حكم الله في كتابه الذي جعله عدلاً بين خلقه".

وذكر – رحمه الله – قول ابن عباس: "إن الله – سبحانه – أمر النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغ، فحقّ على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقرّوا بحكم الله".

وقال محمد بن علي بن محمد الشوكاني – رحمه الله – (في السيل الجرار ٥٥٦/٤): "إذا تبين الباغي ولم يلتبس، ولا دخل في الصلح، كان القعود عن مقاتلته خلاف ما أمر الله به، وأما مع اللبس فلا وجوب حتى يتبين المحق من المبطل، لكن يجب السعي في الصلح كما أمر الله به".

قلت: وهذا في حال وجود البغي، والباغي هو من كان له تأويل سائغ.
أما ما يحدث من غوغائي هذا الزمان فلا تأويل سائغ فيه، فقد استشرفوا للفتن فاستشرفتهم، وجانبوا الكتاب والسنة فأخذوا بما اقتضته مقاييسهم وعقولهم من الأهواء فأحدثوا في بلدانهم وشعوبهم **وأنفسهم – من القتل، والفوضى، والدمار، والجوع، والفساد**، وذهاب الأمن، وفشاء الأمراض – أعظم الفساد؛ لعدم امتثالهم ما نهو عنه.
قال الله – تعالى –: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۞ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.
وقال – تعالى –: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.
وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزان والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة».
وقال صلى الله عليه وسلم: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه».
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت»، رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
والعجب أن منهم من يطلب تطبيق وتقنين الأحكام الوضعية (الدولة المدنية الديمقراطية الدستورية)، وهذا أمر خطير يفضي إلى الكفر؛ لأن من رغب وأراد الأحكام الوضعية فقد فضلها على حكم الله وشرعه؟!.

فما يحدث في هذا الزمان من ثورات ومظاهرات هو عمل بغير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومحاربة لله ورسوله، وقد قال الله — تعالى —: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، وقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ وبما أنهم حاربوا الله ورسوله، وسعوا في الأرض فساداً، فوجب على المسلمين أن يأخذوا على أيديهم، ومعاقبتهم بما يكون نكالاً لهم، وقد قال الله – سبحانه –: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقد بين صلى الله عليه وسلم عقاب من خرج ليشق عصا المسلمين؛ لما يترتب على ذلك من الفساد العظيم، فقال: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه». أخرجه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان» أخرجه مسلم

ففي هاذين الحديثين الصحيحين حكم من خرج ليفرق جماعة المسلمين بعد أن اجتمعت كلمة أهل الحل والعقد، من أهل الشوكة على إمام من المسلمين؛ وذلك لصيانة جماعة المسلمين وكلمتهم؛ ولحفظ الأمن؛ ولأنه لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بإمام يجتمع عليه المسلمون.

وقد روى البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً».

قال القرطبي — رحمه الله –: "ففي هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة، وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

قلت: ودل هذا الحديث على وجوب الأخذ على يد مَن يتولد بسببه ضرر كبير؛ لأنه إذا لم يؤخذ على يد الظلمة الساعين في الأرض بالفساد تعدى ضررهم، وهلك بسببهم الصالح وغيره؛ فكان الأخذ على يد من خرج على جماعة المسلمين – لمنع ضرره – واجب على السلطان، وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً – كما تقدم –، قوم في سفينة في البحر، وكل واحد منهم له نصيب فيها، فلو خرق أحدهم في نصيبه ليستقي حتى لا يؤذي من فوقه بكثرة مروره، فإنه وهذا الحال إن منعوه نجوا، ونجوا جميعاً، وإن تركوه هلكوا جميعاً، وهكذا المفسدون إن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً، وإن تركوهم هلكوا جميعاً.

وفي الصحيحين عن زينب بنت جحش أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له: يا رسول الله، أنهْلِك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أنزل الله بقوم عذاباً، أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم».

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده». رواه أبو داود والترمذي – وقال حديث حسن صحيح – وابن ماجه، والنسائي، وابن حبان في صحيحه، ولفظ النسائي إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب»، وفي رواية لأبي داود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا

ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب» قال الألباني في الترغيب والترهيب صحيح.

فكل خروج يترتب بسببه فساد كبير، واختلال الأمن، وظلم الناس، وجب منعه لتخفيف الشر وتكثير الخير؛ ففي ذلك مصلحة للمسلمين عامة، ومن أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً.

وذكر القرطبي – رحمه الله – (في تفسيره: الجامع لأحكام القرآن ٣٩٢/٧)، عند قوله – تعالى –: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ – تأويلات أهل العلم في تفسيرها، ومنها قول ابن عباس رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: وقال: أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر فيما بينهم فيعمهم الله بالعذاب.

ثم قال القرطبي: "وهذه التأويلات هي التي تعضدها الأحاديث الصحيحة"، فذكر الأحاديث السابقة ثم قال: "قال علماؤنا: فالفتنة إذا عمت هلك الكل. وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر، وعدم التغيير...، وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم، كما في قصة السبت حين هجروا العاصين وقالوا لا نساكنكم، وبهذا قال السلف رضي الله عنهم...، فهذا يدل على أن الهلاك العام منه ما يكون طهرة للمؤمنين، ومنه ما يكون نقمة للفاسقين.

وروى مسلم عن عبد الله بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: عبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه [قيل اضطراب بجسمه، وقيل: حرك أطرافه كمن يأخذ شيئا أو يدفعه]، فقلت: يا رسول الله، صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله؟ فقال: «العجب أن ناساً من أمتي يؤمون هذا البيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم»، فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس، قال: «نعم، فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله — تعالى – على نياتهم».

فإن قيل: فقد قال الله – تعالى –: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، وهذا يوجب ألا يؤخذ أحد بذنب أحد، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب.

فالجواب: أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على كل من رآه أن يغيره، فإذا سكتوا عليه فكلهم عاص، هذا بفعله وهذا برضاه، وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضي بمنزلة العامل، فانتظم الذنب بالعقوبة، قاله ابن العربي وهو مضمون الأحاديث كما ذكرنا، ومقصود الآية: واتقوا فتنة تتعدى الظالم، فتصيب الصالح والطالح". انتهى كلام القرطبي.

وقال ابن تيمية – رحمه الله – (كما في مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٦٨– ٤٨٨): "... وقال – تعالى –: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، فكل من امتنع من أهل الشوكة عن الدخول في طاعة الله ورسوله، فقد حارب الله ورسوله، ومن عمل في الأرض بغير كتاب الله وسنة رسوله، فقد سعى في الأرض فساداً، ولهذا تأول السلف هذه الآية على الكفار، وعلى أهل القبلة، حتى أدخل عامة الأئمة فيها قطاع الطريق الذين يشهرون السلاح لمجرد أخذ الأموال، وجعلوهم بأخذ أموال الناس بالقتال محاربين لله ورسوله ساعين في الأرض فساداً، وإن كانوا يعتقدون تحريم ما فعلوه ويقرون بالإيمان بالله ورسوله، فالذي يعتقد حل دماء المسلمين وأموالهم، ويستحل قتالهم أولى بأن يكون محارباً لله ورسوله ساعياً في الأرض فساداً من هؤلاء، كما أن الكافر الحربي الذي يستحل دماء المسلمين وأموالهم، ويرى جواز قتالهم أولى بالمحاربة من الفاسق الذي يعتقد تحريم ذلك، وكذلك المبتدع الذي خرج عن بعض شريعة رسول الله وسنته، واستحل دماء المسلمين المتمسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته وأموالهم هو أولى بالمحاربة من الفاسق، وإن اتخذ ذلك ديناً يتقرب به إلى الله، كما أن اليهود والنصارى تتخذ محاربة المسلمين ديناً تتقرب به إلى الله.

ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أن هذه البدع المغلظة شر من الذنوب التي يعتقد أصحابها أنها ذنوب، وبذلك مضت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث أمر بقتال الخوارج عن السنة، وأمر بالصبر على جور الأئمة وظلمهم والصلاة خلفهم مع ذنوبهم، وشهد لبعض المصرين من أصحابه على بعض الذنوب أنه يحب الله ورسوله، ونهى عن لعنته، وأخبر عن ذي الخويصرة وأصحابه مع عبادتهم وورعهم أنهم يمرقون من الإسلام، كما يمرق السهم من الرمية، وقد قال – تعالى – في كتابه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، فكل من خرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته، فقد أقسم الله – بنفسه المقدسة – أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله في جميع ما يشجر بينهم من أمور الدين والدنيا، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه، ودلائل القرآن على هذا الأصل كثيرة، وبذلك جاءت سنة رسول الله، وسنة خلفائه الراشدين..." إلى أن قال: "وقال الإمام أحمد – رحمه الله – صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه، قال: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قرائتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد لنكلوا عن العمل» وفى رواية: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» وفى رواية: «شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه»، وهؤلاء أول من قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبى طالب، ومن معه من أصحاب رسول الله قاتلهم بحرورى لما خرجوا عن السنة والجماعة، واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم؛ فإنهم قتلوا عبد الله بن خباب، وأغاروا على ماشية المسلمين، فقام أمير المؤمنين علي بن أبى طالب، وخطب الناس، وذكر الحديث، وذكر أنهم قتلوا وأخذوا الأموال، فاستحل قتالهم، وفرح بقتلهم فرحاً عظيماً، ولم يفعل في خلافته أمراً عاماً كان أعظم عنده من قتال الخوارج، وهم كانوا يكفرون جمهور المسلمين، حتى كفروا عثمان وعلياً، وكانوا يعملون بالقرآن في زعمهم، ولا يتبعون سنة رسول الله التي يظنون أنها تخالف القرآن، كما يفعله

سائر أهل البدع مع كثرة عبادتهم وورعهم. ..” إلى أن قال: ”وأما الواحد المقدور عليه من الخوارج والرافضة، فقد روى عنهما – أعني – عمر وعلي قتلهما – أيضاً – والفقهاء وإن تنازعوا في قتل الواحد المقدور عليه من هؤلاء، فلم يتنازعوا في وجوب قتالهم إذا كانوا ممتنعين؛ فإن القتال أوسع من القتل، كما يقاتل الصائلون العداة، والمعتدون البغاة، وإن كان أحدهم إذا قدر عليه لم يعاقب إلا بما أمر الله ورسوله به، وهذه النصوص المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج، قد أدخل فيها العلماء لفظاً أو معنى من كان في معناهم، من أهل الأهواء الخارجين عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين...”.

فصل

حكم عزل السلطان بالفسق، وطاعة المتغلب

إذا طرأ على الإمام فسق، سواء بارتكاب المحظورات أو ظلم الرعية، فلا يجوز عزله، وقد ذكر بعض أهل العلم إجماع المسلمين؛ لما يترتب على فتنة عزله من عظيم المفاسد، وهذا هو الحق الموافق للكتاب والسنة، وأهل العلم متفقون — أيضاً – على طاعة من تغلب عليهم في المعروف، ويرون المنع من الخروج عليه بالسيف؛ لأن خروجهم يوجب الفتنة والقتل بغير الحق.

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: "أجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق"؛ لأن ضرر الفتنة التي قد تنشأ عن عزله يفوق في الغالب ضرر بقائه متلبساً بالفسق.

وقال – رحمه الله – (في شرحه على مسلم ٦/٣١٤): "وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق...، قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن، وإراقة الدماء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه".

وقال الشيخ مرعي بن يوسف المقدسي في منار السبيل (في شرح الدليل٢/٢٨٢): "قال أحمد في رواية العطار: **ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين: فلا يحل لأحد يؤمن بالله أن يبيت ولا يراه إماماً براً كان أو فاجراً ولا ينعزل بفسقه؛ لما في ذلك من المفسدة**، بخلاف القاضي، ولحديث: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان».

وتلزمه[أي الإمام] مراسلة البغاة، وإزالة شبههم، وما يدّعون من المظالم؛ لأن ذلك وسيلة إلى الصلح المأمور به، والرجوع إلى الحق؛ ولأن علياً رضي الله عنه راسل أهل البصرة يوم الجمل قبل الوقعة، وأمر أصحابه أن لا يبدؤوهم بقتال، وقال: إن هذا يوم من فلج فيه فلج يوم القيامة، وروى عبد الله بن شداد أن علياً رضي الله عنه، لما اعتزله الحرورية بعث إليهم عبد الله بن عباس فواضعوه كتاب الله ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف.

فإن رجعوا وإلا لزمه قتالهم لقوله — تعالى –: ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾، ويجب على رعيته معونته للآية، ولأن الصحابة قاتلوا مانعي الزكاة، وقاتل علي رضي الله عنه، أهل البصرة يوم الجمل، وأهل الشام بصفين..".

قال ابن تيمية – رحمه الله – (في منهاج السنة النبوية١/ ٢٧٣): "إن البيعة تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها، ولا يصير الرجل إماماً حتى يوافقه أهل الشوكة

عليها، الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة؛ فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إماماً".

وقال الحافظ (في الفتح ٧/١٣) عند شرح حديث: «مَن رأى مِن أميره شيئاً يكرهُه فليصبر عليه؛ فإنَّه مَن فارق الجماعةَ شِبراً فمات، إلاَّ مات مِيتةً جاهليَّة»: "قال ابن بطَّال: في الحديث حجَّةٌ في ترك الخروج على السلطان ولو جار، **وقد أجمع الفقهاءُ على وجوب طاعة السلطان المتغلِّب والجهادِ معه، وأنَّ طاعتَه خيرٌ مِن الخروج عليه؛ لِما في ذلك مِن حَقن الدِّماء وتسكين الدَّهماء، وحجتُّهم هذا الخبرُ وغيرُه ...، ولم يستثنوا مِن ذلك إلاَّ إذا وقع من السلطان الكفرُ الصَّريحُ، فلا تجوزُ طاعتُه في ذلك، بل تجب مجاهدَتُه لِمَن قدر عليها**[1] كما في الحديث الذي بعده [أي حديث عبادةَ بن الصَّامت: «بايعَنَا على السَّمع والطَّاعة في مَنشَطِنا ومَكرَهِنا وعُسرِنا ويُسرِنا وأثرَةٍ علينا وأن لا نُنازع الأمرَ أهلَه إلاَّ أن ترَوا كفراً بَواحاً عندكم مِن الله فيه بُرْهانٌ»]".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (في الاستقامة١/٣٨): " ... وإن كان ظالماً لا تأويل له، فلا يحل دفع ظلمه بما فيه فتنة بين الأمة، وبما فيه شر أعظم من ظلمه، بل يؤمر المظلوم ها هنا بالصبر؛ فإن ذلك في حقه محنة وفتنة، وإنما يقع المظلوم في هذا لجزعه وضعف صبره أو لقلة علمه وضعف رأيه؛ فإنه قد يحجب أن القتال ونحوه من الفتن يدفع الظلم عنه، ولا يعلم أنه يضاعف الشر كما هو الواقع وقد يكون جزعه يمنعه من الصبر ، والله – سبحانه –وصف الأئمة بالصبر واليقين، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، وقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، وذلك أن المظلوم وإن كان مأذوناً له في دفع الظلم عنه بقوله – تعالى – ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾الآية، فذلك مشروط بشرطين:

---

[1] قلت: والقدرة شرط لإزالة الحاكم الكافر، أما إذا لم تكن قدرة فلا يجوز الخروج.

أحدهما: القدرة على ذلك. والثاني: ألا يعتدي.

فإذا كان عاجزاً أو كان الانتصار يفضى إلى عدوان زائد لم يجز، وهذا هو أصل النهى عن الفتنة، فكان إذا كان المنتصر عاجزاً وانتصاره فيه عدوان، فهذا هذا.

ومع ذلك فيجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب إظهار السنة والشريعة والنهي عن البدعة والضلالة بحسب الإمكان كما دل على وجوب ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة"، وسيأتي قريباً مطولاً وعاماً، بل يحوي كلام شيخ الإسلام جميع ما في هذا الكتاب.

وقال ابن قدامة المقدسي (في لمعة الاعتقاد ص ٣٢): "ومن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين – برهم وفاجرهم – ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله، ومن ولي الخلافة، واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو **غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة، وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين**" .

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – (في الدرر السنية ٥/١٢): "**الأئمة مجمعون من كل مذهب، على أن من تغلب على بلد أو بلدان، له حكم الإمام في جميع الأشياء**، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم".

وقال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ (في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٢٩/١٢): "**وأهل العلم مع هذه الحوادث متفقون على طاعة من تغلب عليهم في المعروف، يرون نفوذ أحكامه وصحة إمامته، لا يختلف في ذلك اثنان، ويرون المنع من الخروج عليهم بالسيف وتفريق الأمة، وإن كان الأئمة ظلمة فسقة** ما لم يروا كفراً بواحاً؛ ونصوصهم في ذلك موجودة عن الأئمة الأربعة وغيرهم وأمثالهم ونظرائهم".

فصل

إذا طرأ الكفر بعد البيعة أو التغلب

إذا طرأ الكفر بعد البيعة أو التغلب فلابد أن ينظر فإن أمكن إزالته دون قتال وجب، أما إذا كان صاحب شوكة ويترتب على إزالته دماء المسلمين، ولا يمكن الوصول إليه إلا بقتل كثير من المسلمين حرمت مقاتلته.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزان، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

وقال صلى الله عليه وسلم: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»، ولحديث: «لا ضرر ولا ضرار».

وقال صلى الله عليه وسلم: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة ملحد في الحرم ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه».
فكل ما ترتب على إزالته قتل المسلمين لم يجز الخروج عليه؛ ولأن كفر الحاكم لا يترتب عليه كفر الرعية[1]؛ ثم إنه يترتب على قتاله والحال هذه مفسدة عظيمة لاسيما إذا كان صاحب شوكة؛ فإنه لا يمكن إزالته إلا بقتل الكثير من المسلمين.

والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فهي: ترجح خير الخيرين وشر الشرين وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال ابن القيم – رحمه الله – (في إعلام الموقعين ٣٣٨/٤): "شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله

---

[1] مذهب البيهسية من فرق الخوارج يرون مقاتلته ومن معه؛ لأن في مذهبهم إذا كفر الحاكم كفرت الرعية.

يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: «لا، ما أقاموا الصلاة»، وقال: «من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يداً من طاعته»، ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه، من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه.."

وقال ابن حجر (في الفتح ٢٠/٥٨): عند شرحه قوله: «عندكم من الله فيه برهان» " أي نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل، ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل.

قال النووي: المراد بالكفر هنا المعصية، ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققا تعلمونه من قواعد الإسلام؛ فإذا رأيتم ذلك فأنكروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم. انتهى.

وقال غيره: المراد بالإثم هنا المعصية والكفر، فلا يعترض على السلطان إلا إذا وقع في الكفر الظاهر.

والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة في الولاية، فلا ينازعه بما يقدح في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر، وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية، فإذا لم يقدح في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق ويتوصل إلى تثبيت الحق له بغير عنف، **ومحل ذلك إذا كان قادراً والله أعلم**...".

قلت: والتحقيق الصحيح أنه إذا وقع الحاكم في الكفر الصريح، يشترط لإزالته القدرة، أما إذا كانت مفسدة فلا يجوز إزالته درءً لارتكاب مفسدة أكبر، وسيأتي مزيد بيان.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – (كما في الفتاوى ١١٧/٧): "... أن الواجب السمع والطاعة في المعروف لولاة الأمور من الأمراء والعلماء – وبهذا تنتظم الأمور، وتصلح الأحوال، ويأمن الناس، وينصف المظلوم، ويردع الظالم، وتأمن السبل، ولا يجوز الخروج على ولاة الأمور وشق العصا إلا إذا وجد منهم كفر بواح عند الخارجين عليه من الله برهان، **ويستطيعون بخروجهم أن ينفعوا المسلمين وأن يزيلوا الظلم، وأن يقيموا دولة صالحة، أما إذا كانوا لا يستطيعون فليس لهم الخروج، ولو رأوا كفراً بواحاً؛ لأن خروجهم يضر الناس، ويفسد الأمة، ويوجب الفتنة والقتل بغير الحق**...".

وقال – رحمه الله – (كما في مجموع فتاواه ١٩٠/٨)، عندما سئل عن الخروج على السلطان: "لا يجوز الخروج على السلطان إلا بشرطين:

أحدهما: وجود كفر بواح عندهم من الله فيه برهان.

والشرط الثاني: القدرة على إزالة الحاكم إزالة لا يترتب عليها شر أكبر منه، وبدون ذلك لا يجوز".

وقال – أيضاً – (كما في مجموع الفتاوى ٢٠٣/٨) عند حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، وقال: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»: "... إذا رأى المسلمون كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان **لإزالته إذا كان عندهم قدرة، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا، أو كان الخروج يسبب شراً أكثر فليس لهم الخروج؛ رعاية للمصالح العامة.**

والقاعدة الشرعية المجمع عليها: (أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه، بل يجب درء الشر بما يزيله أو يخففه).

أما درء الشر بشر أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين، فإذا كانت هذه الطائفة التي تريد إزالة هذا السلطان الذي فعل كفراً بواحاً عندها قدرة تزيله بها، وتضع إماماً صالحا طيباً من دون أن يترتب على هذا فساد كبير على المسلمين، وشر أعظم من شر هذا السلطان فلا بأس، أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير، واختلال الأمن، وظلم الناس، واغتيال من لا يستحق الاغتيال . . . إلى غير هذا من الفساد العظيم، فهذا لا يجوز، بل يجب الصبر، والسمع والطاعة في المعروف، ومناصحة ولاة الأمور، والدعوة لهم بالخير، والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله وتكثير الخير.

هذا هو الطريق السوي الذي يجب أن يسلك؛ لأن في ذلك مصالح للمسلمين عامة؛ ولأن في ذلك تقليل الشر وتكثير الخير؛ ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر أكثر".

قال الشيخ صالح العثيمين – رحمه الله – (في الشرح الممتع ٣٢٣/١١): عند شرحه لقول المؤلف: (أو ببغي) "يشير إلى البغاة، وهم الذين يخرجون على الإمام، يعني على السلطان بتأويل سائغ، فيقولون للإمام: أنت فعلت كذا وفعلت كذا، فهؤلاء بغاة يُقاتَلون، يجب على الرعية أن يساعدوا السلطان على قتالهم؛ لأنهم بغاة، والأئمة لا يجوز الخروج عليهم إلا بشروط مغلظة؛ لأن أضرار الخروج عليهم أضعافُ أضعافُ ما يريد هؤلاء من الإصلاح، وهذه الشروط هي:

الأول: أن نعلم علم اليقين أنهم أتوا كفراً.

الثاني: أن نعلم أن هذا الكفر صريح ليس فيه تأويل، ولا يحتمل التأويل صريح ظاهر واضح؛ لأن الصريح كما جاء في الحديث هو الشيء الظاهر البين العالي، كما قال الله – تعالى – عن فرعون أنه قال لهامان: ﴿ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾، فلا بد أن يكون صريحاً، أما ما يحتمل التأويل، فإنه لا يسوِّغ الخروج عن الإمام.

الثالث: أن يكون عندنا فيه من الله برهان، ودليل قاطع مثل الشمس أن هذا كفر، فلا بد إذن أن نعلم أنه كفر، وأن نعلم أن مرتكبه كافر لعدم التأويل، كما قال

النبي – عليه الصلاة والسلام –: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان».

الرابع: القدرة على إزالته، أما إذا علمنا أننا لا نزيله إلا بقتال، تُراقُ فيه الدماء وتستباح فيه الحرمات، فلا يجوز أن نتكلم أبداً، ولكن نسأل الله أن يهديه أو يزيله؛ لأننا لو فعلنا وليس عندنا قدرة، فهل يمكن أن يتزحزح هذا الوالي الكافر عما هو عليه؟ لا، بل لا يزداد إلا تمسكاً بما هو عليه، وما أكثر الذين يناصرونه، إذاً يكون سعينا بالخروج عليه مفسدة عظيمة، لا يزول بها الباطل، بل يقوى بها الباطل، ويكون الإثم علينا، فنحن الذين وضعنا رقابنا تحت سيوفه، ولا أحد أحكم من الله، ولم يفرض القتال على النبي صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه رضي الله عنهم إلا حين كان لهم دولة مستقلة، وإلا فإنهم كانوا يهانون في مكة، الذي يحبس، والذي يقتل، والذي توضع عليه الحجارة المحماة على بطنه، ومحمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يرجع من الطائف، يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه، ولم يؤمر بالقتال؛ لأن الله حكيم؛ ولذلك – مع الأسف الشديد– لا تجد أحداً عصى الرسول عليه الصلاة والسلام، وخرج على الإمام بما للإمام فيه شبهة، إلا ندم وكان ضرراً على شعبه، ولم يزل الإمام ولا أريد بالإمام الإمام الأعظم؛ لأن الإمام الأعظم ذهب من زمان، لكن إمام كل قوم من له سلطة عليهم".

وقال – رحمه الله – (كما في لقاءات الباب المفتوح ١٥/٢٧): "أما إذا كان الحاكم لا يحكم بما أنزل الله، فإن هذا له أحوال قد يكون هذا كفراً، وقد يكون ظلماً، وقد يكون فسقاً بحسب ما تقتضيه النصوص الشرعية، وعلينا إذا كان هذا الحاكم مصراً على كفر بواح عندنا فيه من الله برهان أن نسعى لإزالته ما استطعنا، لكن ليس علينا أن نقوم في وجهه، وليس معناه الخروج بالقوة؛ لأن هذا تهور مخالف للشرع وللحكمة، ولهذا لم يُؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجهاد في مكة؛ لأنه ليس معه قوة يستطيع بها أن يخرج هؤلاء من مكة أو يقتلهم، فكون هؤلاء النفر القليل الذين هم عزّل من السلاح المقابل لسلاح الحكومة يقومون على الحكومة لا شك أن هذا تهور مخالف للحكمة، إذا رأيت كفراً بواحاً عندك فيه من الله برهان

فانتظر" إلى أن قال: "الشرط الخامس وهو القدرة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأذن بالخروج على الأئمة إلا بشروط وهي: أن نرى كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان، فشرط الوجوب أن يكون لدينا القدرة على إزالة هذا الحاكم وحكومته، أما بلا قدرة فالإنسان يجب عليه أن ينتظر الفرج من الله – عز وجل – وألا يناهض من يقضي عليه وعلى طائفته وعلى الآخرين..".

وقال – رحمه الله – (في شرح رياض الصالحين ٥١٥/٤ ط دار الوطن): "فقولوا ثلاثة شروط، وإن شئتم فقولوا أربعة: أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان، هذه أربعة شروط.

وإذا رأينا هذا – مثلاً – فلا تجوز المنازعة حتى تكون لدينا قدرة على إزاحته، فإن لم يكن لدينا قدرة فلا تجوز المنازعة؛ لأنه ربما إذا نازعنا – وليس عندنا قدرة – يقضي على البقية الصالحة، وتتمّ سيطرته، فهذه الشروط شروط للجواز أو للوجوب – وجوب الخروج على ولي الأمر –؛ لكن بشرط أن يكون لدينا قدرة، فإن لم يكن لدينا قدرة فلا يجوز الخروج؛ لأن هذا من إلقاء النفس في التهلكة".

قلت: والتجربة أكبر برهان فقد حدث الخروج في زماننا هذا على من ليس يدين بدين الإسلام، فلم يجلب لهم خروجهم إلا القتل وإراقة الدماء والتصفية للمسلمين، لأنهم لما لم يأخذوا بمقاصد الشرع في حقن الدماء ترتب على ذلك مفاسد عظيمة كبيرة، وقد قدمنا أن القدرة في إزالة من كان كفره بوحاً – عندنا من الله فيه برهان — شرط في الإزالة، فإن لم تتوفر القدرة لا يجوز الخروج؛ لأن عدم الخروج عند عدم القدرة مصلحة راجحة، والخروج عند عدم القدرة مفسدة ظاهرة وراجحة، فوجب الصبر وهذا الحال، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً، نسأل الله أن يلطف بالمسلمين ويردهم للحق رداً جميلاً.

وحدث الخروج – أيضاً – في دولة أخرى بدعوى الظلم، فجروا على أنفسهم ودولتهم الدمار بأيديهم وأيدي أعداء الإسلام، فذهب الأمن، وسفكت الدماء، وانتهكت الأعراض، وفشت الأمراض، وقسمت الدولة جماعات تتناحر فيما

بينها، بل ولم تحدث الثورات في بقية الدول الإسلامية إلا الدمار والفساد في الأرض، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

والدين الإسلام يحرم الثورات والخروج على الحكام، والتغيير عندهم هو في حال وجود الكفر البواح بشرط القدرة على التغيير مع مراعاة المصالح والمفاسد، أما إذا وجدت المفسدة كان التغيير محرماً.

فصل
أهمية الأمن

الأمن لا يستقر إلا بوجود السلطان، واجتماع الرعية حوله، وعدم الافتراق والتنازع، فالسلطان هو ظل الله في أرضه:

قال الإمام عبد الله بن المبارك:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن دانا
كم يدفع الله بالسلطان معضلة ... عن ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

وقيل:

البَيْتُ لا يُبْتَنَى إلا لهُ عَمَـــــــدٌ ... ولا عِمادَ إذا لَمْ تُرْسَ أَوْتادُ
وإنْ تَجَمَّعَ أَوْتادٌ وأَعْمِـــــــــدَةٌ ... وساكِنٌ بَلَغُوا الأَمْرَ الذي كادُوا
لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سَراة لَهُمْ ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

تُلْفَى الأُمُورُ بأَهْلِ الرَّأْيِ ما صَلَحَتْ فإنْ تَوَلَّتْ فبِالأَشْرارِ تَنْقادُ
إذا تَوَلَّى سَراةُ القَـوْمِ أَمْرَهُـــــمْ نَمَى على ذاكَ أَمْرُ القَوْمِ وازْدادُوا

ولا بد للسلطان من بسط نفوذه على دولته، ورعيته، من تأمين سبل الرخاء بحيث يأمن كل أحد على ماله وأهله؛ لأن الأمن هو أصل أهمية وجود السلطان، فإذا اختل الأمن وبقي الناس فوضى وأكل القوي الضعيف، وقتل بعضهم بعضاً، وانتشر الفساد والهرج، وانتشر الجوع، وفشت الأمراض بين الناس، وازداد الجهل أصبحوا طعماً لأعدائهم.

فاستقرار الأمن نعمة عظيمة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» أي غير خائف من عدو في نفسه، وفي أهله وعياله.

فالأمن هو ثمرة الاجتماع وعدم الافتراق والاختلاف، وما أجمل كلام الشيخ عبد القادر شيبة الحمد حول نعمة الأمن (كما في مجلة الجامعة العدد: ٥- ٤٢/١): "إن من أعظم نعم الله على عباده أن يصبح الإنسان آمناً على نفسه مطمئناً على عرضه، لا يخاف ظلم ظالم ولا جور جائر، وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن من اجتمع له الأمن في وطنه والصحة في بدنه مع وجود قوت يومه فقد جمعت له الدنيا، ولم يفته منها شيء حيث يقول فيما جاء من الأثر: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»، أي اجتمعت لديه أسباب النعيم العاجل، ولم يفته من مسرات الحياة شيء. والأمن في البلاد مع الصحة في الأبدان نعمة يجب أن تشكر؛ فإن من فاتته هذه النعمة لم يسعد من الحياة من شيء، ولذلك جاء في الحكم: «نعمتان مجحودتان الأمن في الأوطان والصحة في الأبدان».

وقد امتن الله – تبارك وتعالى – على أهل مكة في مواضع كثيرة في كتابه بنعمة الأمن ليلفت الناس إلى شكرها وينبههم إلى خطرها، وجعل ذلك آية من آياته وبرهاناً من براهين عظمته وقدرته وألوهيته وربوبيته حيث يقول: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ

إيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾، وكما قال — عز وجل –: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾، وكما قال – عز وجل –: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾، وقد أشار الله – تبارك وتعالى – إلى أسباب الأمن، وأن أساسها الإيمان بالله وعدم الظلم ولذلك قال في قصة إبراهيم عليه السلام حينما هدده قومه بأن أصنامهم ستسلبه الأمن: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ثم بيَّن أصول الأمن وأعظم أسبابه فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، فإن العبد إذا آمن بالله – عز وجل – والتجأ إليه وامتنع عن المظالم كان حرياً بوقاية الله من شرور أعدائه على حد قول الشاعر:

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

وكما قال الشاعر:

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن آمان

وقد وعد الله – تبارك وتعالى – أهل الدين والعمل الصالح أن يمكن لهم في الأرض وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً وفي ذلك يقول – عز وجل –: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، كما وعد الله – تبارك وتعالى – كل من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى بالحياة الطيبة والتي يكون الأمن من أبرز مظاهرها

حيث يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقد نبه إبراهيم عليه السلام إلى خطر نعمة الأمن في البلاد فدعا الله – تبارك وتعالى – أن يجعل دار ولده إسماعيل آمنة حيث يقول – عز وجل – في دعوته: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وكما قال – عز وجل –: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

وقد استجاب الله – تبارك وتعالى – دعاء إبراهيم عليه السلام فجعل دار إسماعيل عليه السلام حرما آمنا وجعل البيت الحرام مثابة للناس وأمنا وفي ذلك يقول: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾، ووصفت مكة بأنها البلد الأمين حيث يقول: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾، ما أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن تطبيق شريعة الإسلام، والعمل بأحكامه وتحليل حلاله وتحريم حرامه مما يورث البلاد أمنا، ويهبها استقراراً، فقد صح الخبر أن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت أخت عدي قد أوصته أن يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له: «أرى أن تلحق بمحمد فإن يكن نبياً فالسابق إليه فضل وإن يكن ملكاً فأنت أنت»، فلما قدم عدي رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عدي ما يمنعك من الدخول في الإسلام؟»، ثم قال له: «والله ليتمن هذا الأمر حتى تسير الظعينة من صنعاء إلى الحيرة فلا تخاف من نفسها إلا الذئب»، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد بين الله – تبارك وتعالى – في محكم كتابه الأسباب السالبة للأمن الجالبة للخوف، فجعل منها محاربة دين الله وفي ذلك يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

كما تهدد – تبارك وتعالى – من كفر بنعمة الله أن يبدله من بعد أمنه خوفاً وأن يلبسه لباس الجوع وفي ذلك يقول: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

ولقد أشار نبي الله صالح صلى الله عليه وسلم إلى عظيم نعمة الأمن وطلب من قومه أن يشكروا الله – عز وجل – عليها، وأنذرهم بأنها ستسلب منهم إن لم يعترفوا لله – عز وجل – بها وفي ذلك يقول الله – عز وجل – حاكيا مقالة نبي الله صالح صلى الله عليه وسلم لقومه: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ۞ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ۞ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ۞ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ۞ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ۞ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ۞ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ۞ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ۞ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ۞ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ۞ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ۞ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.
ولقد ضرب الله – تبارك وتعالى – مثلاً كذلك بلاد سبأ إذ كانوا يعيشون آمنين في بلاد لهم فيها آية جنتان عن يمين وشمال، فلما أعرضوا عن دين الله مزقهم كل ممزق وجعلهم أحاديث وفي ذلك يقول – عز وجل –: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ۞ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ۞ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ۞ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ۞ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

قال الشاعر محمود غنيم:

إني تذكرت والذكـرى مؤرقـة   مجـــداً تليداً بأيدينا أضعـــناه

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد   تجده كالطير مقصوصاً جناحاه".

قلت: فنعمة الأمن نعمة عظيمة – كما تقدم من كلام الشيخ – ولا تتم نعمة الأمن إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأي دولة مسلمة تلتزم شرع الله وتحاكم شعبها إليه يكون استقرارها قوياً، ولا تضرها بإذن الله الفتن؛ لأن استقرارها يكون بتمسكها بكتاب الله وسنة الرسول، فهي تقوم على أساس قوي فتعيش أرقى أنواع الأمن إن شاء الله.

قال الشيخ العلامة صالح الفوزان (في كتابه المناهج والفرق ١/١٤٢): "دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – لها أكثر من مائتي سنة، وهي ناجحة لم يختلف فيها أحد، وهي تسير على الطريق الصحيح.

دولة قائمة على الكتاب والسنة ودعوة ناجحة، لا شك في ذلك، حتى اعترف الأعداء بذلك.

الأعداء يعترفون بأن هذه البلاد تعيش أرقى أنواع الأمن في العالم بالاستقرار، والأمن، والسلامة من الأفكار؛ كل يعرف هذا.

فلماذا نستبدل هذه النعمة ونتطلع إلى أفكار الآخرين التي لم تنجح في بلادهم؟!.

هذه الأفكار وهذه الدعوات وهذه الجماعات ما نفعت في بلادهم ولا كونت في بلادها جماعة إصلاحية، ولم تحول بلادها من قانونية أو من بلاد وثنية أو قبورية إلى جماعة إسلامية صحيحة، بل هذه الجماعات ليس لديها اهتمام بالعقيدة، وهذا دليل على عدم نجاحها، فلماذا نُعجب بها ونروج لها وندعو لها؟!!".

قلت: فثمرة الاجتماع على الكتاب والسنة هو عدم التفرق والاختلاف، وهذا هو ما عليه أهل السنة والجماعة، ولهذا سموا بهذا الاسم؛ فإذا حدث التفرق فهو ناتج عن خلل في تطبيق المنهج، والانحراف إلى البدعة.

قال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله –: "أهل السنّة سُمّوا أهل السنة؛ لأنهم يعملون بالسنّة، ويلازمونها.

وسموا بالجماعة؛ لأنهم مجتمعون غير مختلفين؛ لأن منهجهم واحد هو الكتاب والسنّة، اجتمعوا على الحق، واجتمعوا على إمام واحد، فكل شئونهم العامة اجتماع وتعاون وتحاب".

قلت: فيتبين – مما سبق – وجوب طاعة ولاة الأمر وإن جاروا؛ لأن الأمن مرتبط بالاعتصام بالكتاب والسنة وطاعة ولاة الأمر في غير معصية الخالق.

فصل
حكم المظاهرات والمسيرات

لقد تقدم الكلام في الفتن وأنواعها، وأن المظاهرات أو المسيرات تجمع بين العذاب والابتلاء والفضيحة، وهي من الخروج المحرم شرعاً، وأن الدخول فيها فتنة عظيمة، ومن أعظم الفتن الخروج على السلطان، فطاعته واجبة؛ لأن طاعته في المعروف طاعة لله ورسوله، والخروج عليه معصية لله والرسول.

فتبين أن ما أحدثه الخوارج في هذا الزمان فتنة في الأرض وفساد كبير، فوجب بيان الحق وإيضاحه للمسلمين، ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾

فما يحدث من مظاهرات ومسيرات غوغائية أحدثها أصحاب الفتن الظالمين المجرمين المتبعين لسنن أهل الجاهلية شبراً بشبر وذراعاً بذراع.

وقد تحقق فيهم قول رسول الله صلى عليه وسلم: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟، قال: «فمن؟».

وكما في حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه».

فعلم – مما تقدم – أنهم مخالفون لأمر الله ورسوله، فالله والرسول أمرا بالصبر وأمرا بطاعة ولاة الأمر، وهؤلاء المتظاهرون الثائرون عصوا الله والرسول، وخالفوا ولاة أمرهم، فأحدثوا الفتن العظيمة، وابتغوا سنة الجاهلية، وأهراقوا دماءهم ودماء المسلمين بغير حق.

فانظر أيها المؤمن لهؤلاء كيف أغمضوا أعينهم وأصموا آذانهم عن قول الله – تعالى –: ﴿واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾، وقوله – تعالى –: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، وقوله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم: «سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني»، وقوله: «إذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة»، وقوله: «أَلاَ مَنْ وَلِىَ عَلَيْهِ وَال فَرَآهُ يَأْتِى شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِى مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلاَ يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»، وقوله: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ»، وقوله: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»، وتقدم ذلك.

فتبين أن المظاهرات والمسيرات لا شِرعة لها، ولا سلميّة فيها، ولا أحقية في المطالبة فيها، بأي اسم كان، ولكن عن طريق المكاتبات يعرضون التماساتهم فإن استجيب لهم فبها وإلا صبروا وسألوا الله حقهم، فهذا ما أمرهم الله ورسوله به إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وبهذا أطاعوا الله والرسول وأعطوا حكامهم

حقهم، وأدوا ما عليهم لقوله صلى الله عليه وسلم: «فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم».

قال القرطبي – رحمه الله –: "واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً".

وقال ابن عباس عند قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: "من حقيقة الإيمان الصبر على المكاره".

وقال مالك بن أنس في قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال: "هو الصبر على فجائع الدنيا وأحزانها".

فأين يا ترى زعماء أصحاب الثورات والمظاهرات عن فهم هذه النصوص؟!!.

ثم إن المظاهرات والمسيرات هي تشبه بأفعال الكفار، والرافضة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم».

قال الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – (كما في مجموع الفتاوى ٨/٢٢٣) في رده على عبد الرحمن بن عبد الخالق بعدد من الملاحظات منها: "سادساً: ذكرتم في كتابكم: (فصول من السياسة الشرعية ص ٣١، ٣٢): أن من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة التظاهرات (المظاهرة).

ولا أعلم – نصاً – في هذا المعنى، فأرجو الإفادة عمن ذكر ذلك؟ وبأي كتاب وجدتم ذلك؟

فإن لم يكن لكم في ذلك مستند، فالواجب الرجوع عن ذلك؛ لأني لا أعلم في شيء من النصوص ما يدل على ذلك، ولما قد علم من المفاسد الكثيرة في استعمال المظاهرات، فإن صح فيها نص فلا بد من إيضاح ما جاء به النص إيضاحاً كاملاً حتى لا يتعلق به المفسدون بمظاهراتهم الباطلة".

وقال – رحمه الله – (كما في المجموع ٦/٤٤٧): "فالمسيرات في الشوارع والهتافات والمظاهرات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبة التي هي أحسن، فتنصح الرئيس والأمير وشيخ القبيلة بهذا الطريق لا

بالعنف والمظاهرة، فالنبي صلى الله عليه وسلم مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات، ولا المسيرات، ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم".

وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (في الفتوى رقم: ١٩٩٣٦، ٣٦٨/١٥): بعضوية عبد العزيز بن عبد الله بن باز وعبد العزيز آل الشيخ وعبد الله بن غديان وصالح الفوزان وبكر أبو زيد ...رحم الله الأموات وحفظ الأحياء منهم: "...ننصحك وكل مسلم ومسلمة بالابتعاد عن هذه المظاهرات الغوغائية التي لا تحترم مالاً ولا نفساً ولا عرضاً، ولا تمت إلى الإسلام بصلة، ليسلم للمسلم دينه ودنياه، ويأمن على نفسه وعرضه وماله".

وقال الشيخ ابن باز – رحمه الله – عندما سئل: هل المظاهرات الرجالية والنسائية ضد الحكام والولاة تعتبر وسيلة من وسائل الدعوة؟ وهل من يموت فيها يعتبر شهيداً في سبيل الله؟

فأجاب: "لا أرى المظاهرات النسائية والرجالية من العلاج، ولكنها من أسباب الفتن، ومن أسباب الشرور، ومن أسباب ظلم بعض الناس، والتعدي على بعض الناس بغير حق، ولكن الأسباب الشرعية المكاتبة والنصيحة والدعوة إلى الخير بالطرق السلمية، هكذا سلك أهل العلم، وهكذا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان، بالمكاتبة والمشافهة مع المخطئين ومع الأمير والسلطان، بالاتصال به ومناصحته والمكاتبة له دون التشهير في المنابر وغيرها بأنه فعل كذا وصار منه كذا، والله المستعان".

قال الشيخ العثيمين (في تفسيره ١٥٤/١): "وقد قامت بعض المنظمات التي تطلق على نفسها أسماء – الوطنية — و – المحافظة – بتنظيم مظاهرات عامة بحجة التنديد بالشيوعية وبالتنشيط اليساري المتزايد في البلاد، ولقد سار المتظاهرون في أنقرة واستانبول مؤخراً وهم يحملون أعلام خضراء – تمثل اللون الإسلامي – ورددوا هتافات تدعوا إلى – إعلاء كلمة الإسلام في تركيا – ولقد كانت هذه المظاهرات تناهض العلمانية والدعوة العصرية أكثر مما تناهض الشيوعية".

وقد صدر عن هيئة كبار العلماء البيان التالي: بيان من هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بتاريخ ١٤٣٢/٤/١هـ.

"... فلقد أخذ الله – عز وجل – على العلماء العهد والميثاق بالبيان قال – سبحانه – في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ آل عمران: ١٨٧.

وقال – جل وعلا –: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ البقرة ١٥٩.

ويتأكد البيان على العلماء في أوقات الفتن والأزمات؛ إذ لا يخفى ما يجري في هذه الأيام من أحداث واضطرابات، وفتن في أنحاء متفرقة من العالم، وإن هيئة كبار العلماء إذ تسأل الله – عز وجل – لعموم المسلمين العافية والاستقرار والاجتماع على الحق حكاماً ومحكومين، لتحمد الله سبحانه على ما من به على المملكة العربية السعودية من اجتماع كلمتها وتوحد صفها على كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل قيادة حكيمة لها بيعتها الشرعية أدام الله توفيقها وتسديدها، وحفظ الله لنا هذه النعمة وأتمها.

وإن المحافظة على الجماعة من أعظم أصول الإسلام، وهو مما عظمت وصية الله – تعالى – به في كتابه العزيز، وعظم ذم من تركه، إذ يقول – جل وعلا – ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آل عمران :١٠٣.

وقال – سبحانه –: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران :١٠٥.

وقال – جل ذكره –: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ الأنعام: ١٥٩.

وهذا الأصل الذي هو المحافظة على الجماعة مما عظمت وصية النبي صلى الله عليه وسلم به في مواطن عامة وخاصة، مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «يد الله

مع الجماعة» رواه الترمذي.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»، رواه مسلم .

وقوله عليه الصلاة والسلام: «إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان» رواه مسلم .

وما عظمت الوصية باجتماع الكلمة ووحدة الصف إلا لما يترتب على ذلك من مصالح كبرى، وفي مقابل ذلك لما يترتب على فقدها من مفاسد عظمى يعرفها العقلاء، ولها شواهدها في القديم والحديث.

ولقد أنعم الله على أهل هذه البلاد باجتماعهم حول قادتهم على هدي الكتاب والسنة، لا يفرق بينهم، أو يشتت أمرهم تيارات وافدة، أو أحزاب لها منطلقاتها المتغايرة امتثالاً لقوله سبحانه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

وقد حافظت المملكة على هذه الهوية الإسلامية فمع تقدمها وتطورها، وأخذها بالأسباب الدنيوية المباحة، فإنها لم ولن تسمح – بحول الله وقدرته – بأفكار وافدة من الغرب أو الشرق تنتقص من هذه الهوية أو تفرق هذه الجماعة.

وإن من نعم الله – عز وجل – على أهل هذه البلاد حكاماً ومحكومين أن شرفهم بخدمة الحرمين الشريفين – اللذين وله الحمد والفضل سبحانه – ينالان الرعاية التامة من حكومة المملكة العربية السعودية عملاً بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

وقد نالت المملكة بهذه الخدمة مزية خاصة في العالم الإسلامي، فهي قبلة المسلمين وبلاد الحرمين، والمسلمون يؤمونها من كل حدب وصوب في موسم الحج حجاجاً وعلى مدار العام عماراً وزواراً.

وهيئة كبار العلماء إذ تستشعر نعمة اجتماع الكلمة على هدي من الكتاب والسنة في ظل قيادة حكيمة، فإنها تدعو الجميع إلى بذل كل الأسباب التي تزيد من

اللحمة وتوثق الألفة، وتحذر من كل الأسباب التي تؤدي إلى ضد ذلك، وهي بهذه المناسبة تؤكد على وجوب التناصح والتفاهم والتعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، وتحذر من ضد ذلك من الجور والبغي، وغمط الحق.

كما تحذر من الارتباطات الفكرية والحزبية المنحرفة، إذ الأمة في هذه البلاد جماعة واحدة متمسكة بما عليه السلف الصالح وتابعوهم، وما عليه أئمة الإسلام قديماً وحديثاً من لزوم الجماعة والمناصحة الصادقة، وعدم اختلاف العيوب وإشاعتها، مع الاعتراف بعدم الكمال، ووجود الخطأ وأهمية الإصلاح على كل حال وفي كل وقت. وإن الهيئة إذ تقرر ما للنصيحة من مقام عال في الدين حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة» قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم.

ومع أنه من أكد من يناصح ولي الأمر حيث قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» رواه الإمام أحمد.

فإن الهيئة تؤكد أن للإصلاح والنصيحة أسلوبها الشرعي الذي يجلب المصلحة ويدرأ المفسدة، وليس بإصدار بيانات فيها تهويل وإثارة فتن وأخذ التواقيع عليها، لمخالفة ذلك ما أمر الله عز وجل به في قوله جل وعلا: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وبما أن المملكة العربية السعودية قائمة على الكتاب والسنة والبيعة ولزوم الجماعة والطاعة، فإن الإصلاح والنصيحة فيها لا تكون بالمظاهرات والوسائل والأساليب التي تثير الفتن وتفرق الجماعة، وهذا ما قرره علماء هذه البلاد قديماً وحديثاً من تحريمها والتحذير منها، والهيئة إذ تؤكد على حرمة المظاهرات في هذه البلاد فإن الأسلوب الشرعي الذي يحقق المصلحة ولا يكون معه مفسدة هو المناصحة وهي التي سنها النبي صلى الله عليه وسلم وسار عليها صحابته الكرام وأتباعهم بإحسان.

وتؤكد الهيئة على أهمية اضطلاع الجهات الشرعية والرقابية والتنفيذية بواجبها كما قضت بذلك أنظمة الدولة وتوجيهات ولاة أمرها ومحاسبة كل مقصر.

والله تعالى نسأل أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء ومكروه وأن يجمع كلمتنا على الحق وأن يصلح ذات بيننا ويهدينا سبل السلام وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا إتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه وأن يهدي ضال المسلمين وهو المسؤول سبحانه أن يوفق ولاة الأمر لما فيه صلاح العباد والبلاد إنه ولي ذلك القادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هيئة كبار العلماء ..."

وسأل سائل الشيخ العلامة صالح بن غصون – رحمه الله — بقوله:

فضيلة الشيخ في السنتين الماضيتين نسمع بعض الدعاة يدندن حول مسألة وسائل الدعوة وإنكار المنكر ويدخلون فيها المظاهرات، والاغتيالات، والمسيرات وربما أدخلها بعضهم في باب الجهاد الإسلامي.

أ – نرجو بيان ما إذا كانت هذه الأمور من الوسائل الشرعية أم تدخل في نطاق البدع المذمومة والوسائل الممنوعة؟

ب – نرجو توضيح المعاملة الشرعية لمن يدعو إلى هذه الأعمال، ومن يقول بها ويدعو إليها؟

فأجاب الشيخ: "الحمد لله: معروف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة والإرشاد من أصل دين الله – عز جل –، ولكن الله – جل وعلا – قال في محكم كتابه العزيز: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ولما أرسل – عز وجل – موسى وهارون إلى فرعون قال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، والـــنبي صلى الله عليه وسلم جاء بالحكمة وأمر بأن يسلك الداعية الحكمة وأن يتحلى بالصبر، هذا في القرآن العزيز ...: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، فالداعي إلى الله – عز وجل – والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عليه أن يتحلى بالصبر، وعليه أن يحتسب الأجر والثواب، وعليه –

أيضاً – أن يتحمل ما قد يسمع أو ما قد يناله في سبيل دعوته، وأما أن الإنسان يسلك مسلك العنف أو أن يسلك مسلك والعياذ بالله أذى الناس أو مسلك التشويش أو مسلك الخلافات والنزاعات وتفريق الكلمة، فهذه أمور شيطانية، وهي أصل دعوة الخوارج، هم الذين ينكرون المنكر بالسلاح، وينكرون الأمور التي لا يرونها وتخالف معتقداتهم بالقتال، وبسفك الدماء، وبتكفير الناس، وما إلى ذلك من أمور ففرق بين دعوة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وسلفنا الصالح، وبين دعوة الخوارج ومن نهج منهجهم وجرى مجراهم، دعوة الصحابة بالحكمة وبالموعظة وببيان الحق وبالصبر وبالتحلي واحتساب الأجر والثواب، ودعوة الخوارج بقتال الناس وسفك دمائهم وتكفيرهم وتفريق الكلمة وتمزيق صفوف المسلمين، هذه أعمال خبيثة، وأعمال محدثة، والأولى للذين يدعون إلى هذه الأمور: يُجانبونَ، ويُبعد عنهم، ويساء بهم الظن، هؤلاء فرقوا كلمة المسلمين، الجماعة رحمة، والفرقة نقمة وعذاب والعياذ بالله، ولو اجتمع أهل بلد واحد على الخير، واجتمعوا على كلمة واحدة، لكان لهم مكانة، وكانت لهم هيبة، لكن أهل البلد الآن أحزاب وشيع، تمزقوا، واختلفوا، ودخل عليهم الأعداء من أنفسهم ومن بعضهم على بعض، هذا مسلكٌ بدعي، ومسلك خبيث ومسلك مثل ما تقدم، أنه جاء عن طريق الذين شقوا العصا" إلى أن قال عن الخوارج الذي قاتلهم علي في النهروان: "وهم رأس الفساد ورأس البدعة ورأس الشقاق فهم الذين فرقوا كلمة المسلمين وأضعفوا جانب المسلمين، وهكذا – أيضاً – حتى الذي يقول بها ويتبناها ويحسنها فهذا سيئ المعتقد ويجب أن يبتعد عنه، واعلم والعياذ بالله أن شخصاً ضاراً لأمته ولجلسائه ولمن هو من بينهم والكلمة الحق أن يكون المسلم عامل بناء وداعي للخير وملتمس للخير تماماً ويقول الحق ويدعو بالتي هي أحسن وباللين ويحسن الظن بإخوانه ويعلم أن الكمال منالٌ صعب وأن المعصوم هو النبي صلى الله عليه وسلم وأن لو ذهب هؤلاء لم يأتِ أحسن منهم، فلو ذهب هؤلاء الناس الموجودون سواء منهم الحكام أو المسؤولون أو طلبة العلم أو الشعب، لو ذهب هذا كله، شعب أي بلد لجاء أسوأ منه فإنه لا يأتي عامٌ إلا والذي بعده شرٌ منه فالذي يريد من الناس أن

يصلوا إلى درجة الكمال أو أن يكونوا معصومين من الأخطاء والسيئات، هذا إنسان ضال، هؤلاء هم الخوارج هؤلاء هم الذين فرقوا كلمة الناس وآذوهم، هذه مقاصد المناوئين لأهل السنة والجماعة بالبدع من الرافضة والخوارج والمعتزلة وسائر ألوان أهل الشر والبدع".

وقال الشيخ العلامة صالح بن عبد الله الفوزان: "وأما المظاهرات فإن الإسلام لا يقرها؛ لما فيها من الفوضى واختلال الأمن وإتلاف الأنفس والأموال والاستخفاف بالولاية الإسلامية، وديننا دين النظام والانضباط ودرء المفاسد وإذا استخدمت المساجد منطلقا للمظاهرات والاعتصام فهذا زيادة شر وامتهان للمساجد وإسقاط لحرمتها وترويع لمرتاديها من المصلين والذاكرين الله فيها، فهي إنما بنيت لذكر الله والصلاة والعبادة والطمأنينة.

فالواجب على المسلمين أن يعرفوا هذه الأمور ولا ينحرفوا مع العوائد الوافدة والدعايات المضللة والتقليد للكفار والفوضويين. وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح".

وقال الشيخ – حفظه الله – (في مقالات ٢٨/١ العدد١١٣٥٨): حول حكم الانتخابات والمظاهرات: "فقد كثر السؤال عن حكم الانتخابات والمظاهرات بحكم أنهما أمر مستجد ومستجلب من غير المسلمين، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

١– أما الانتخابات ففيها تفصيل على النحو التالي:

أولاً: إذا احتاج المسلمون إلى انتخاب الإمام الأعظم، فإن ذلك مشروع بشرط أن يقوم بذلك أهل الحل والعقد في الأمة والبقية يكونون تبعاً لهم، كما حصل من الصحابة رضي الله عنهم حينما انتخب أهل الحل والعقد منهم أبا بكر الصديق رضي الله عنه وبايعوه، فلزمت بيعته جميع الأمة، وكما وكَّل عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختيار الإمام من بعده إلى الستة الباقين من العشرة المبشرين بالجنة فاختاروا عثمان بن عفان رضي الله عنه وبايعوه فلزمت بيعته جميع الأمة.

ثانياً: الولايات التي هي دون الولاية العامة فإن التعيين فيها من صلاحيات ولي الأمر بأن يختار لها الأكفياء الأمناء ويعينهم فيها، قال الله – تعالى –: ﴿إِنَّ اللَّهَ

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، وهذا خطاب لولاة الأمور، والأمانات هي الولايات والمناصب في الدولة جعلها الله أمانة في حق ولي الأمر وأداؤها اختيار الكفء الأمين لها، وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه وولاة أمور المسلمين من بعدهم يختارون للمناصب من يصلح لها ويقوم بها على الوجه المشروع.

وأما الانتخابات المعروفة اليوم عند الدول فليست من نظام الإسلام، وتدخلها الفوضى والرغبات الشخصية، وتدخلها المحاباة والأطماع، ويحصل فيها فتن وسفك دماء ولا يتم بها المقصود، بل تصبح مجالاً للمزايدات والبيع والشراء والدعايات الكاذبة.

٢- وأما المظاهرات فإن الإسلام لا يقرها؛ لما فيها من الفوضى واختلال الأمن وإتلاف الأنفس والأموال، والاستخفاف بالولاية الإسلامية، وديننا دين النظام والانضباط ودرء المفاسد، وإذا استخدمت المساجد منطلقا للمظاهرات والاعتصامات فهذا زيادة شر وامتهان للمساجد، وإسقاط لحرمتها وترويع لمرتاديها من المصلين والذاكرين الله فيها، فهي إنما بنيت لذكر الله والصلاة والعبادة والطمأنينة.

فالواجب على المسلمين أن يعرفوا هذه الأمور ولا ينحرفوا مع العوائد الوافدة والدعايات المضللة والتقليد للكفار والفوضويين".

فصل

مصدر الفتن في هذا العصر وموقف المؤمن منها

إن المتأمل لأحوال المسلمين في أوطانهم من أقصاها إلى أدناها يرى أن فتنة هذا الزمان التي عمت وجرَّت على المسلمين النكبات والويلات هي فتنة خوارج العصر (الإخوان) [1] الذين ابتغوا الفتنة وقلبوا الأمور، فافتعلوا الثورات والمظاهرات

---

[1] الإخوان يعطلون ما ورد من نصوص؛ لأنهم لا يرون شرعية لأحد سواهم، ولكن لو كانت السلطة لهم لطبقوا النصوص على من خالفهم بحكمة أنهم خارجون على السلطان وجماعة المسلمين؛ لأنهم لا يرون سلطاناً شرعياً ولا جماعة المسلمين إلا فيهم؛ ولأنهم يرون كفر من خالفهم، ولا إسلام إلا لمن وافقهم وزهد فيهم، فهم فيهم شبه كثير بالروافض، وعندهم استعداد للتعاون مع الشيطان لإقامة دولتهم.

والانقلابات، فمن تتبع فتنتهم وما جلبوا بخروجهم على ولاتهم وبلدانهم من تفريق الأمة وتمزيقها وسفك دمائها أدرك خطرهم على الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "... لا يكاد يُعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفتن ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته".

فهاهي فتنتهم في تفريق الأمة وتمزيقها وسفك دمائها قد ظهرت وأطلت بنفسها على العالم، وهي أشد وأخطر من فتنة الخوارج القدماء، بل القدماء معروفون بالصدق حتى يقال إن حديثهم من أصح الحديث، لكنهم جهلوا وضلوا في بدعتهم ولم تكن بدعتهم عن زندقة وإلحاد، بل عن جهل وضلال في معرفة معاني الكتاب[1].

أما خوارج العصر من الإخوان من أهل التحريف والضلال واتباع هواء، فبدعتهم عن زندقة وإلحاد، فحرفوا نصوص الكتاب والسنة على ما يوافق هواهم، فجعلوا الباطل حقاً، والحق باطلاً، وكونوا تنظيماً سرياً في إضمار انتزاع الإمارة والوصول إلى السلطة ولو سالت أودية وأنهار بالدماء، ولو ذهب الأمن وانتهكت الأعراض، بل ولو عم الأرض الفساد؟!!.

فهم يقولون على الله غير الحق، في فتواهم وأحكامهم، وفي خبرهم وإلزاماتهم، فخطرهم يكمن في إضلال الناس وتجهيلهم وتربيتهم على مذهبهم الخوارجي لسفك الدم الحرام، بدعوى أن هذا جهاداً في سبيل الله، والله يقول: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[2].

---

[1] انظر منهاج السنة ٦٨/١، لابن تيمية – رحمه الله –.

[2] فهذا كلام الله – عز وجل – الذي قد أخبر أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قد قلبوه الإخوان المسلمون، فيقتلون النفس البريئة بغير حق ويجعلون القاتل الظالم مجاهداً في سبيل الله، وإذا قتل هذا المعتدي المجرم منهم زعموا أنه شهيد، والحق هو العكس فالمعتدى عليه هو الشهيد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد».

فآثروا الدنيا واستحبوها وسعوا لها سعيها، وأفسدوا في الأرض، وقالوا على الله غير الحق، وباعوا دينهم بعرض من الدنيا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما في البخاري ومسلم من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه –: «يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها» وفي رواية: «إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها».

وقال صلى الله عليه وسلم – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه –: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة» رواه البخاري.

وفي حديث أبى موسى رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من قومي فقال أحد الرجلين: أمَّرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقال: «إنا لا نولى هذا من سأله، ولا من حرص عليه» رواه البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله – عز وجل – مغلولاً يوم القيامة يده إلى عنقه فكه برَّه أو أوبقه إثمه، أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها خزي يوم القيامة»، حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة.

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ (في الفوائد ١/١٠٠): "كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلا بد أن يقول على الله غير الحق، في فتواه وحكمه، في خبره وإلزامه....الخ".

فقد أخذ أهل العلم من هذه النصوص كراهة الحرص على الإمارة وتحصيلها، وهذا في سؤالها وطلبها، فكيف في حال سفك الدم الحرام؛ لأجل انتزاعها؟!!

وخلاصة هذا التنظيم – المشار إليه – على قسمين:

فالقسم الأول: جناح مدني، قد وضع مخططاً سرياً – كما تقدم –، وكون جماعة في كل دولة لتنفيذ مخططه السري في الوصول إلى مآربه في إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة – زعموا – كما هي وصية من أسس هذا التنظيم.

فقد قال مؤسس تنظيمه حسن البنا[1] (في رسائله ص٣٧٤): "وإعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية بتحرير أوطانها، وإحياء مجدها، وتقريب ثقافاتها وجمع كلمتها، حتى يؤدي ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة" أهـ

وقال – أيضاً – (في ص١٥٦): "والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لابد منها وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لابد أن نسبقها بخطوات ...الخ) أهـ

قلت: فإعادة الكيان للأمة الإسلامية كما يلاحظ عند البنا لا يكون إلا بالثورة على الحكام لتحرير الأوطان على مذهب الخوارج، وهذا (غيض من فيض)، فآفتهم حبهم الدنيا وزينها، واتحادهم مع الكفار ضد المسلمين للحصول على السلطة، فلإسلام عندهم مجرد وسيلة فقط، والغاية عندهم الوصول إلى السلطة العامة، فابتغوا الفتن التي حذر المصطفى عليه الصلاة السلام أمته منها.

وقد قدمت الكلام في الفتن وذكرت من أدلة الكتاب والسنة ما يكفي المؤمن المتبصر في دينه.

وانظر إلى همس زعيم من زعمائهم (سلمان العودة) وهو يؤجج الفتن ويشعلها إشعالاً، ويرشدهم إلى أن يستنوا بسنة الجاهلية في تكثير المفاسد وتقليل المصالح؟!!، حيث يقول: "إن الثورة ليست دائمًا هي النسخ والإلغاء لوضع معين وصناعة وضع آخر"، وشرحها الكاتب والناشر في الموقع بقوله: مشيرًا إلى أن الثورة الحقيقيَّة الناجحة الناضجة هي التي تنتقل من واقعٍ إلى واقع أفضل منه، وتستفيد من إيجابياته.

---

[1] كتب عباس محمود العقاد مقالاً هاماً جداً يثبت فيه بالأدلة أن حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨م، والمرشد الأول للجماعة من أسرة مغربية ذات أصول يهودية، واسترسل في بيان أن ترجمة (البنا) إلى الانجليزية هي **MASON** ماسوني وأن البنا وأبيه وجده كانوا يعملون في تصليح الساعات وهي مهنة اليهود آنذاك .. إلى غير ذلك من الدلائل....**الخ**

ويقول – أيضاً – في بيانه تحت عنوان (همسة في أذن ثائر): "إن أي واقع لا بدَّ وأن يكون قد قامت به مؤسَّسات وبنى تحتية، وكذلك شخصيات ورجال لهم دور، فهناك أنظمة شموليَّة استطاعت أنها تستميل إليها قبائل ومدنيين وأشخاصًا ورجالات وعباقرة وعظماء، فلا يجب أن يكون هذا معناه أن هؤلاء الناس كلهم جميعًا في دائرة الاتهام، فالثورة ليست نسخًا أو قضاءً مبرمًا على الماضي".
ويقول ـ أيضاً ـ: "إنه يجب أن يكون في حس الثائر الحقيقي أن الثورة هي عبارة عن اقتباس الإيجابيَّات القائمة والبناء عليها...الخ".

وقال – أيضاً –: "إننا بحاجة إلى ما يسمى بـ (فقه الثورة)، فنحن ربما ورثنا مفهومًا تاريخيًّا للثورة أقرب إلى السلبيَّة، وعلى سبيل المثال، فإننا كثيرًا ما نتحدث في تاريخنا عن ثورة الزنج:

أي نومٍ من بعد ما انتهك الزّنْـ ـجُ جهارًا محارمَ الإسلام

أو ثورة القرامطة، بينما لا نتحدث عن الدولة العباسيَّة، والتي جاءت نتيجة ثورة وأفضت إلى دولة من أقوى وأعظم دول الإسلام...الخ"
قلت: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.
فهذا توجيه لهؤلاء الغوغائيين الجهال الذين لم يعرفوا أصل دينهم، وحثٌ لهم على الثورة والخروج على حكامهم، مخالف في ذلك كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومبتغ في ذلك سنة الجاهلية، فهل أعظم من هذا انتهاكاً لمحارم الإسلام؟!!
وأما القسم الثاني من تنظيمهم: هو ما يسمى بـ((القاعدة، داعش، أنصار المقدس، حماس...الخ)): وهو جناح الإخوان العسكري، وهذا القسم عبارة عن قنابل موقوتة: تثور إذا سنحت لهم الفرصة ووجدوا الثغرة، والقسم الأول هو الذي يقوم بتمويل القسم الثاني مادياً ومعنوياً، وهم دعاتهم، وكلا القسمين يرون من خالفهم كفاراً وإن أبطن القسم الأول التكفير وزعم أنه لا يكفر – فهو على تقيَّة الرافضة –، وكلا القسمين خوارج مارقة.

والقسم الأول هو من يمول الجناح العسكري، عن طريق دول – دخلت في تنظيمهم –، وجمعيات بدعوى الخيرية، وحسابات سرية، وأصلهما مؤسسة من مؤسسات اليهود أُوجدوا؛ لأجل إضعاف الإسلام وإشعال الفتن بين المسلمين للقضاء على قوتهم، وتهيئتهم بعد الضعف لابتلاع اليهود لهم، كما سيأتي.

وقد حذرنا الخوارجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ففي الصحيحين عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينَ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الْفُوقِ» وفي الصحيحين – أيضاً – أنه أَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقٌ فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ، أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَلاَ تَأْمَنُونِي». فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ – أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ – فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا – أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا – قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».
وفتنتهم باقية حتى يخرج فيهم الدجال فيقتلون معه، كما في حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع حتى يخرج في أعراضهم الدجال».
وفي حديث سهل بن حنيف قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئاً قال سمعته يقول: «يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية» أخرجه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

قال البربهاري – رحمه الله – في شرح السنة ٧٠): "ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار وميتته ميتة جاهلية".

وقال الآجري – رحمه الله – (في الشريعة ٣٢٥/١): "والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج، يتوارثون هذا المذهب قديماً وحديثاً، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين .

وأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو رجل طعن على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يقسم الغنائم بالجعرانة، فقال: اعدل يا محمد، فما أراك تعدل، فقال صلى الله عليه وسلم: ويلك، فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟، فأراد عمر رضي الله عنه قتله، فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم من قتله، وأخبر عليه الصلاة والسلام: أن هذا وأصحاباً له يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون في الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأمر عليه الصلاة والسلام في غير حديث بقتالهم، وبين فضل من قتلهم أو قتلوه".

وقال الشهرستاني – رحمه الله – (في الملل والنحل ١١٣/١): " الخوارج والمرجئة والوعيدية: كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان".

قال ابن حجر – رحمه الله – (في الفتح ٢٨٣/١٢): " أما الخوارج فهم جمع خارجة: أي طائفة وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين".

قلت: ثم إن هؤلاء الخوارج لهم قنوات فضائية (منها قناة الجزيرة)، ومواقع إلكترونية، وغيرها من الوسائل لبث أفكارهم، ورفع حماس ومعنويات الثائرين، وحثهم في الاستمرار على ثوراتهم، وهاهي فتنتهم بدأت تظهر لكل ذي عقل لبيب، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

ومن تأمل ما يحدث في البلاد الإسلامية من ثورات ومظاهرات رأى أنها خدمة لأفكار ومعتقدات أصلها تخطيط صهيوني يهودي يهدف لسيطرة اليهود على العالم، تعتبره اليهود المنطلق لإقامة حكومتهم على أرض المعاد – زعموا –.

فانظر أيها المؤمن في هذا الجزء المختصر من مخطط اليهود وقارن بينه وبين فتنة هذا الزمان؟!!.

قالت اليهود في مخططهم (كما في بروتوكولات حكماء صهيون): أنهم يدْعُون إلى تسخير الحرية السياسية من أجل السيطرة على الجماهير، بقولهم: خير النتائج في حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب، ويجب أن نعرف كيف نقدم لهم الطعم الذي يوقعهم في شباكنا.

ويقولون: إن الحرية السياسية ليست حقيقة، بل فكرة، ويجب أن يعرف الإنسان كيف يسخّر هذه الفكرة عندما تكون ضرورية، فيتخذها طُعماً لجذب العامة إلى صفّه، إذا كان قد قرر أن ينتزع سلطة منافس له، وتكون المشكلة يسيرة إذا كان هذا المنافس موبوءاً بأفكار الحرية التي تسمى التحررية، ومن أجل هذه الفكرة يتخلى عن بعض سلطته، وبهذا سيصير انتصار فكرتنا واضحاً.

ويقولون: يعطى الشعب الحكم الذاتي فترة وجيزة، لكي يصير هذا الشعب رعايا بلا تمييز، ومنذ تلك اللحظة تبدأ المنازعات والاختلافات التي سرعان ما تتفاقم، فتصير معارك اجتماعية، وتندلع النيران في الدول، ويزول أثرها كل الزوال، فإذا أنهكت الدول الفتن الداخلية والحروب الأهلية ...، فإنها تعد قد خربت نهائياً كل الخراب وستقع في قبضتنا.

ويقولون: إن الغاية تبرر الوسيلة[1]، وعلينا – ونحن نضع خططنا – ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد.

ويقولون: بين أيدينا خطة عليها خط استراتيجي واضح، وما كنا لننحرف عن هذا الخط إلا كنا ماضين في تحطيم عمل قرون.

---

[1] **قلت: وهذه قاعدة ميكافيللي اليهودي، والذي هي من قواعد الإخوان المسلمين.**

إن من يريد إنفاذ خطة عمل تناسبه يجب أن يستحضر في ذهنه حقارة الجمهور وتقلبه، وحاجته إلى الاستقرار، وعجزه عن أن يفهم ويقدر ظروف عيشته وسعادته، وعليه أن يفهم أن قوة الجمهور عمياء خالية من العقل المميز، وأنه يعير سمعه ذات اليمين وذات الشمال، فإذ قاد الأعمى أعمى مثله فيسقطان معاً في الهاوية.

ويقولون: لابد من إغراق الأمميين في الرذائل بتدبيرنا عن طريق من نهيئهم بذلك من أساتذة وخدم وحاضنات ونساء الملاهي.

ويقولون: يجب أن نعمل على بث الفزع الذي يضمن لنا الطاعة العمياء، وننادي بشعارات الحرية والمساواة والإخاء؛ لينخدع بها الناس ويهتفوا بها، وينساقوا وراء ما نريد لهم، وسنعمل على دفع الزعماء إلى قبضتنا، وسيكون تعيينهم في أيدينا، واختيارهم يكون حسب وفرة أنصبته من الأخلاق الدنيئة وحب الزعامة وقلة الخبرة وسنسيطر على الصحافة؛ لأنها قوة فعالة توجه العالم نحو ما نريد، ولابد من توسيع الشقة بين الحكام والشعوب ليصبح السلطان كالأعمى الذي فقد عصاه ويلجأ إلينا لتثبيت كرسيه، ولابد من إشعال نار الخصومة الحاقدة بين كل القوى لتتصارع، وجعل السلطة هدفاً مقدساً تتنافس كل القوى للوصول إليه، ولابد من إشعال نار الحرب بين الدول، بل داخل كل دولة عند ذلك تضمحل القوى وتسقط الحكومات، وتقوم حكومتنا العالمية، وسنتقدم إلى الشعوب الفقيرة المظلومة في زي محرريها ومنقذيها من الظلم، وندعوها إلى الانضمام إلى صفوف جنودنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين والماسونيين، وبسبب الجوع سنتحكم في الجماهير، وسنستخدم سواعدهم لسحق كل من يعترض سبيلنا، ولابد أن نفتعل الأزمات الاقتصادية؛ ليخضع لنا الجميع بفضل الذهب الذي احتكرناه، وإننا الآن بفضل وسائلنا الخفية في وضع منيع بحيث إذا هاجمتنا دولة نهضت أخرى للدفاع عنا.

ويقولون: يجب أن يكون شعارنا كل "وسائل العنف والخديعة".

ويقولون: إن صيحتنا "المساواة والإخاء" قد جلبت إلى صفوفنا فرقاً كاملة من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المغفلين، وقد حملت هذه الفرق ألويتنا في نشوة.

ويقولون: الأمميون (غير اليهود) لا ينتفعون بالملاحظات التاريخية المستمرة، بل يتبعون نسقاً نظرياً من غير تفكير فيما يمكن أن تكون نتائجه، ومن أجل ذلك لسنا في حاجة إلى أن نقيم للأمميين وزناً.

دعوهم يتمتعوا ويفرحوا بأنفسهم حتى يلاقوا يومهم، أو دعوهم يعيشوا في أحلامهم بملذات وملاه جديدة، أو يعيشوا في ذكرياتهم للأحلام الماضية، دعوهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التي أوحينا إليهم بها إنما لها القدر الأسمى من أجلهم، وبتقييد أنظارهم إلى هذا الموضوع، وبمساعدة صحافتنا نزيد ثقتهم العمياء بهذه القوانين زيادة مطردة، أن الطبقات المتعلمة ستختال زهواً أمام أنفسها بعلمها، وستأخذ جزافاً في مزالة المعرفة التي حصلتها من العلم الذي قدمه إليها وكلاؤنا رغبة في تربية عقولنا حسب الاتجاه الذي توخيناه.

ويقولون: إن الصحافة التي في أيدي الحكومة القائمة هي القوة العظيمة التي بها نحصل على توجيه الناس، فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور، وتعلن شكاوي الشاكين، وتولد الضجر أحيانا بين الغوغاء، وإن تحقيق حرية الكلام قد ولد في الصحافة، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة، فسقطت في أيدينا، ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذاً، وبقينا نحن وراء الستار.

ويقولون: ولكي نغري الطامحين إلى القوة بأن يسيئوا استعمال حقوقهم، وضعنا القوي: كل واحدة منها ضد غيرها، بأن شجعنا ميولهم التحررية نحو الاستقلال، وقد شجعنا كل مشروع في هذا الاتجاه، ووضعنا أسلحة في أيدي كل الأحزاب، وجعلنا السلطة هدف كل طموح إلى الرفعة، وقد أقمنا ميادين تشتجر فوقها الحروب الحزبية بلا ضوابط ولا التزامات، وسرعان ما ستنطلق الفوضى، وسيظهر الإفلاس في كل مكان.

ويقولون: لقد أقنعنا الأمميين بأن مذهب التحررية سيؤدي بهم إلى مملكة العقل وسيكون استبدادنا من هذه الطبيعة؛ لأنه سيكون في مقام يقمع كل الثورات ويستأصل بالعنف اللازم كل فكرة تحررية من كل الهيئات.

ويقولون: إن كلمة الحرية تدفع الجماهير إلى الصراع مع الله ومقاومة سنته فلنشعلها هي وأمثالها إلى أن تصبح السلطة في أيدينا، إنا لنا قوة خفية لا يستطيع أحد تدميرها تعمل في صمت وخفاء وجبروت، ويتغير أعضاؤها على الدوام، وهي الكفيلة على توجيه حكام الأمميين كما نريد، فلابد أن نهدم دولة الإيمان في قلوب الشعوب، وننزع من قلوبهم فكرة وجود الله، ونحل محلها قوانين رياضية مادية، ولا ندع للناس فرصة المراجعة، ويجب أن نشغلهم بشتى الوسائل، حتى لا يفطنوا لعدوهم العام في الصراع العالمي، وسنعمل على إنشاء مجتمعات منحلة مجردة من الإنسانية والأخلاق، متحجرة المشاعر ناقمة أشد النقمة على الدين والسياسة؛ ليصبح رجاؤها الوحيد تحقيق الملاذ المادية، وحينئذٍ يصبحون عاجزين عن أي مقاومة، فيقعون تحت أيدينا صاغرين، وسنقبض بأيدينا على كل مقاليد القوى، ونسيطر على جميع الوظائف، وتكون السياسة بأيدي رعايانا، فنستطيع في كل وقت بقوتنا محو كل معارضة مع أصحابها مع الأمميين، لقد بثثنا بذور الشقاق في كل مكان، بحيث لا يمكن اجتثاثه، وأوجدنا التنافر بين مصالح الأمميين المادية والقومية، وأشعلنا نار النعرات الدينية والعنصرية في مجتمعاتهم، ولم ننفك عن بذل جهودنا في إشعالها منذ عشرين قرناً، لذلك من المستحيل على أي حكومة أن تجد عوناً من أخرى لضربنا، فلن تقدم الدول على إبرام أي اتفاق مهما كان ضئيلاً؛ لأن محرك آلة الدول في قبضتنا، ولابد من الانتفاع بالعواطف المتأججة لخدمة أغراضنا بدل إخمادها، ولابد من الاستيلاء على أفكار الآخرين وترجمتها بما يتفق مع مصالحنا بدل قتلها، وسنكثر من إشاعة المتناقضات ونلهب الشهوات ونؤجج العواطف، وسننشيء (إدارة الحكومة العليا) ذات الأيدي الكثيرة الممتدة إلى كل أقطار الأرض والتي يخضع لها كل الحكام، وأن الصحافة جميعها بأيدينا إلا صحفاً قليلة غير محتفل بها، وسنستعملها لبث الشائعات حتى تصبح حقائق

وسنشغل بها الأمميين عن ما ينفعهم، ونجعلهم يَجْرون وراء الشهوة والمتعة، فالحكام أعجز من أن يعصوا أوامرنا؛ لأنهم يدركون أن السجن أو الاختفاء من الوجود مصير المتمرد منهم، فيكون أعظم طاعة لنا، وأشد حرصاً ورعاية لمصالحنا، ونحن الذين وضعنا طريقة التصويت ونظام الأغلبية المطلقة ليصل إلى الحكم كل من نريد بعد أن نكون قد هيئنا الرأي العام للتصويت عليهم، وسنفكك الأسرة وننفخ روح الذاتية في كل فرد ليتمرد، وسنستعين بالانقلابات والثورات كل ما رأينا فائدة لذلك.

ولقد أنشأنا قِوانا الخفية لتحقيق أهدافنا، فالبهائم من الأمميين يجهلون أسرارها، فيثقون بها، وينتسبون إلى محافلها، فسيطرنا عليهم وسخرناهم لخدمتنا.انتهى النقل مختصراً.

قلت: رأيت أيها المسلم هذا المخطط اليهودي الصهيوني والذي يقوم بتنفيذه أناس من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، كما أخبر عليه الصلاة والسلام فقد سأله حذيفة بن اليمان فقال: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر».

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ فقال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

ومن تأمل تلك المطالبات للمتظاهرين، وما تبثه تلك القنوات الفضائية – كما تقدم – عرف خطرهم وضررهم، وأدرك أن هذه مؤامرة خارجية.

وقد تأثر بفتنتهم أناس جهال لم يتعلموا أصول الدين، ولم يعرفوه، ولـمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم؛ لأنه لـمَّا لم يأخذ حكامهم بتطبيق الكتاب والسنة وجعْله أصلاً يَـحْكمُون به، ويَـــــتَحَاكَمُون إليه، ويُـحَاكِمُون إليه، ويدرّسُونه – ليتفقه العامة

أمور دينهم، ويعرفون عقيدتهم، والمخالف لها، ويحذّرونه ويحذِّرون منه، فيؤدون الواجب عليهم، ويجتنبون المحرم في دينهم؛ لأنهم عرفوا ما أمرهم الله ورسوله به فالتزموه – كانت النتيجة والتربية هي الجهل والخروج على حكامهم، فأحدثوا لبلدانهم وأنفسهم تلك الفتنة الغوغائية، فالجزاء من جنس العمل[1]؛ فلما استبدلوا الأحكام الوضعية الفاسدة بالذي هو حق[2]: كتاب الله – عز وجل – وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، كانت ثمرة ذلك الفتن والفوضى من الغوغائيين.

فلو أخذوا بالكتاب والسنة، وعرفوا العلماء الربانيين المعروفين بسلامة المعتقد، وأسندوا ما يتعلق بالشرع إليهم، واستشاروهم فيما يكون من النوازل – كما هو الحال في هذه البلاد المملكة العربية السعودية والحمد لله – لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن، بل — وللأسف – أن أكثرهم أصبح حرباً على أهل السنة، وأشد تنفيراً عن علماء الأمة ومرجعيتهم.

فَلِمَ لا تكون تلك الفتنة عقاباً من الله وتسليطاً منه — عز وجل –؟ فقد قال الله — تعالى –: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

ذكر القرطبي – رحمه الله – عند تفسيره هذه الآية قول فضيل بن عياض: "«إذا رأيت ظالما ينتقم من ظالم فقف، وانظر فيه متعجبا».

وقال ابن عباس: إذا رضي الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم، إذا سخط الله على قوم ولى أمرهم شرارهم".

---

(١) وقال – تعالى –: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

(٢) (الباء) دخلت على المتروك وهو (الكتاب والسنة)، كقول الله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، فدخلت الباء هنا على المتروك (الذي هو خير): وهو المن والسلوى.

وكقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، وكقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

والمعنى: أنهم تركوا كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخذوا الأحكام الوضعية بديلة لها.

قلت: والدولة السعودية لم يكن بقاؤها وثباتها إلا بسبب تطبيقها لكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك لن تضرها تلك الفتن وأساسها تطبيق الكتاب والسنة إن شاء الله.

ولهذا فإنني أحذر المسلمين كل الحذر من هذه الفتن، ومن أصحابها، ومن كل من أيّدَ تلك الفتن ورأى أنها من باب الإصلاح.

وتحذيري هذا دفعاً للشر والفساد، وامتثالاً لقول رسولنا صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

ولأن هؤلاء أهل نحل وبدع وخطرهم خفي كما قال البربهاري – رحمه الله –: "مثل أصحاب البدع مثل العقارب يدفنون رؤوسهم وأبدانهم في التراب ويخرجون أذنابهم فإذا تمكنوا لدغوا وكذلك أهل البدع هم مختفون بين الناس فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون".

وقال – أيضاً –: "وإذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع فاحذره، فإن الذي أخفى عنك أكثر مما أظهره" إلى أن قال: "وإذا رأيت الرجل مجتهداً في العبادة متقشفاً محترفاً بالعبادة صاحب هوى، فلا تجالسه ولا تقعد معه ولا تسمع كلامه ولا تمش معه في طريق، فإني لا آمن أن تستحلي طريقته فتهلك معه".

فالمؤمن يجب عليه معرفة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومنهج السلف الصالح وأن يعض علي ذلك بالنواجذ كما هي وصية رسولنا عليه الصلاة والسلام، حيث قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً؛ فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

والواجب على المسلم المحافظة على إيمانه ومعرفة دينه على الوجه الصحيح؛ لأن الإيمان إذا تسلح به المؤمن نجا؛ فالإيمان يمنع صاحبه عن معصية الله، ويمنع قسوة قلبه، وحرصه على الدنيا، ويجعل همه الوصول إلى الآخرة متمسكاً بأمر الله ومجتنباً نواهيه، متبعاً سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما عليه السلف الصالح.

قال فضيلة الشيخ العلامة صالح بن عبد الله الفوزان عضو هيئة كبار العلماء – حفظه الله – (كما في جريدة المدينة العدد ١٧٥٣٠ السنة السابعة والسبعون – ملحق الرسالة ليوم الجمعة ١٨ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ)، بعنوان: التمسك بالكتاب والسنة هو العصمة من الفتن: "... في هذه الأيام تعصف بالعالم الإسلامي والعربي فتن، تهدد أمنهم واستقرارهم، وتفرق جماعتهم، وتزعزع دولهم بتخطيط من الأعداء، وتنفيذ من الغوغائيين والأغرار، من أبناء تلك الدول المستهدفة دون تفكير في العواقب ومآلات الأمور تأثراً بالوعود الكاذبة، وجرياً وراء السراب الخادع، حتى أصبحت لا تسمع ولا تقرأ في وسائل الإعلام إلا ما يزعجك من تقتيل وتشريد، وسقوط حكومات وتغير أحوال وقد تحقق في هؤلاء الذين يوقدون تلك الفتن قول الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم «دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها»، وقد رسم لنا النبي صلى الله عليه وسلم الخطة التي نسير عليها للسلامة من شر هؤلاء الدعاة لما ورد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لقوله: «فما تأمرني إن أدركني ذلك» قال صلى الله عليه وسلم: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قال حذيفة رضي الله عنه: «فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام» قال صلى الله عليه وسلم: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» هذا بالنسبة للفرد.

وأما بالنسبة للأمة فقد أمرها صلى الله عليه وسلم عند حدوث الاختلاف والفتن بالتمسك بالكتاب والسنة، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»، وهذا تفسير لقول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرّقُوا﴾، [آل عمران: ١٠٣]، وقد وجدنا ثمرة هذه الوصايا

الربانية والنبوية عندما عصفت تلك الأحداث الأخيرة التي سببت الهيجان والمطالبة بتغيير أنظمة الحكم في البلاد العربية والإسلامية، وتضرر بها من تضرر من الشعوب والحكام، وقد بقيت هذه البلاد السعودية آمنة مطمئنة؛ لأن دستورها القرآن الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

أما الدساتير البشرية فإنها لا تثبت أمام الهزات؛ لأنها لم تبن على الوحي المنزل الصالح لكل زمان ومكان، والذي لا يستطيع أحد أن يأتي بآية من مثله ولن يستطيع أحد أن يستدرك عليه ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١]، ولما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن وقوع الفتن قيل: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله»، أما الدساتير البشرية والقوانين الوضعية فهي عرضة للانتقاد ولا تصلح لكل زمان ومكان فهي تنهار عند أول حادثة فهي كبيت العنكبوت لا يقي من الحر ولا البرد ولا المطر ولا يصمد أمام الرياح، ولذلك أول ما رد به أهل هذه البلاد على الدعوة إلى الاضطرابات والمظاهرات والاعتصامات ردوا بأن ديننا يمنع من ذلك كله ولا يجيزه ويأمر بالهدوء والسكينة والتلاحم بين الراعي والرعية وينهى عن الفوضى ويأمر بالقضاء على الفتن وأهلها فهو ينهى عن البغي والعدوان والخروج على ولي الأمر ويأمر بالإصلاح بين البغاة والمبغي عليهم إن أمكن الإصلاح وإلا فإنها تقاتل الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞إِنّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من أتاكم وأمركم جميع على واحد منكم يريد أن يفرق جماعتكم ويشق عصاكم فاقتلوه»، هذا هو موقف الإسلام من الفتن وعلاجها عند حدوثها وهو موقف هذه البلاد حكامها وعلمائها، ولله الحمد عندما حدثت هذه الفتنة وهو

الموقف الذي ألجم كل عدو وعلم كل جاهل ونبه كل غافل ومن تمسك بهذا المنهج فلن تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض بإذن الله والحمد لله رب العالمين".

فصل

ومن فتن الأخوان استغلال عواطف العامة – بدعوى – الانتصار للرسول، فأحدثوا فتنة عظيمة، فأساءوا للإسلام والمسلمين – من حيث لا يشعرون – بدعوى الانتصار للرسول صلى الله عليه وسلم.

فقد أخبرنا الله – تعالى – في محكم كتابه بأننا سنسمع من أهل الكتاب: اليهود والنصارى، ومن الذين أشركوا: وهم سائر الطوائف الكفرية من غير أهل الكتاب أذى كثيراً حيث قال: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾، ثم أرشد الله — عز وجل — عباده المؤمنين إلى الصبر والتقوى وأخبرهم أن ذلك من عزم الأمور فقال: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.

وقال – تعالى –: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾، فأمر الله بالعفو والصفح حتى يأتي أمره – عز وجل –، وكما قال الله — عز وجل – ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وهذا عام.

ثم هل اقتصر أذى الكفار على الرسل فقط؟!، الجواب: إنه لم يقتصر أذى اليهود والنصارى والذين أشركوا على الرسل، بل تعرضوا لذات الله، فقد قالوا عن الله – سبحانه — أنه فقير وأنهم أغنياء، وقالوا يد الله مغلولة.

وقد قال الله – عز وجل –: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، وقال — تعالى –﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا

قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

وقد أمر الله رسوله بقوله: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾، ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾.

وقد أجمع الأنبياء على رد أذى أقوامهم بالصبر ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.

فمن قرأ القرآن وتأمله يرى أن الخالق – عز وجل – لم يسلم من آذاهم فكيف برسل الله؟، فأين هؤلاء يا ترى عن تدبر القرآن وامتثاله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

ومن قرأ القرآن وتدبره يرى أن الأنبياء عليهم السلام تعرضوا لأشد الأذى فصبروا امتثالاً لأمر الله — عز وجل — وما سيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم عنا ببعيد، فقد تعرض لأشد الاذى من قومه ومع ذلك صبر وامتثل لأمر الله — عز وجل — ولم يعاملهم بالمثل مع أن الله قال: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾، فأخذ صلى الله عليه وسلم بما هو خير وهو الصبر، فقد قال الله في آخر الآية ﴿ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾، وغير ذلك من الآيات التي أمر الله فيها بالصبر.

ومنها قوله – تعالى –: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها عندما سألته هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِى عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِى إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِى فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ

رَأْسِى فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِى فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِى فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ فَنَادَانِى مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَىَّ. ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِى رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِى بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ ». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

فيتبين للمؤمنين بعد هذه الأدلة أن الإخوان أصحاب فتنة وشر، وأهل طلب للدنيا حتى ولو أهلكوا الحرث والنسل.

فصل

والإخوان مع الرافضة على طرفي نقيض، فتأمل كلام الجبري في حواره مع الشيعة إذ يقول: دور الإخوان المسلمين ومراكزهم مفتوحة لكل أصحاب المذاهب وما يسمى بالفرق، الكل يعمل للإسلام المضيع، والحرية المسلوبة من المسلمين؛ الإباضي والزيدي والسني، وغيرهم من علماء الهند وباكستان وإيران والعراق والشام وشمال وأواسط أفريقيا، وشعارهم: (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)، ومن ثم فقد كانت مواضع الخلاف لا تثار بحال، فكل أخ يحرص على مشاعر أخيه.

وسالم البهنساوي يقول: منذ تكونت جماعة التقريب بين المذاهب والتي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القمي والتعاون قائم بين الإخوان المسلمين، والشيعة وقد أدى ذلك إلى زيارة الإمام نواب صفوي سنة ١٩٥٤ للقاهرة.

ويقول عمر التلمساني المرشد العام للإخوان المسلمين: وبلغ من حرص حسن البنا على توحيد كلمة المسلمين أنه: كان يرمي إلى مؤتمر يجمع الفرق الإسلامية لعل الله يهديهم إلى الإجماع على أمر يحول بينهم وبين تكفير بعضهم خاصة وأن قرآننا واحد ودیننا واحد ورسولنا صلى الله عليه وسلم واحد وإلهنا واحد ولقد استضاف لهذا الغرض فضيلة الشيخ محمد القمي أحد الكبار علماء الشيعة وزعمائهم في المركز العام فترة ليست بالقصيرة. كما أنه من المعروف أن الإمام البنا قد قابل المرجع الشيعي آية الله الكاشاني أثناء الحج عام ١٩٤٨ وحدث بينهما تفاهم .

وقد جاء في مجلة المجتمع الكويتية العدد ٤٣٤ بتاريخ ١٩٧٩/٢/٢٥م): بيان من الإخوان المسلمين (بسم الله الرحمن الرحيم.. بيان: دعا التنظيم الدولي للإخوان المسلمين قيادات الحركات الإسلامية — في كل من تركيا، باكستان، الهند، إندونيسيا، أفغانستان، ماليزيا، الفلبين، بالإضافة إلى تنظيمات الإخوان المسلمين المحلية في العالم العربي وأوربا وأمريكا — إلى اجتماع أسفر عن تكوين وفد توجه إلى طهران على طائرة خاصة، وقابل الإمام آية الله الخميني لتأكيد تضامن الحركات الإسلامية الممثلة في الوفد كافة، ....، وقد أكد الوفد من جانبه للإمام الخميني على أن الحركات الإسلامية ستظل على عهدها في خدمة الثورة الإسلامية في إيران وفي كل مكان، بكل طاقاتها البشرية والعلمية والمادية.. .، ثم زار الوفد رئيس الحكومة د. (مهدي بازركان) في مقابلة خاصة، ثم أعلن الوفد في مقابلة

تلفزيونية مؤثرة، الدعوة إلى يوم تضامن مع الثورة الإيرانية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وخارجه حيثما توجد الجاليات والتجمعات الإسلامية...الخ.

وذهب المراقب العام للإخوان رياض الشقفة، إلى حد التأكيد على أنهم لا يعارضون وصول أي امرأة أو رجل مهما كان دينه إلى موقع الرئاسة، (طالما أن الشعب اختاره)...، وأكد أن الإخوان المسلمين مستعدون للاحتكام إلى الديمقراطية والقبول بنتائجها مهما كانت.

فمن هنا يعرف المسلم أن ليس لهم من الإسلام إلا الاسم نفاقاً.

ومن تأمل كلام زعيمهم البنا في مؤتمر عقد لأجل فلسطين، وهجرة اليهود إليها — عرف فساد عقيدتهم، وبعدهم عن دين الإسلام — إذ يقول: "أقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية؛ لأن القرآن الكريم حض على مصافاتهم ومصادقتهم!، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية، وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقاً!"، إلى أن قال: " ونحن حين نعارض بكل قوة الهجرة اليهودية نعارضها؛ لأنها تنطوي على خطر سياسي اقتصادي!، وحقنا أن تكون فلسطين عربية!.

ومن بعده تلميذه: القرضاوي، قد نعى بابا النصارى الكاثوليك ودعا له بالرحمة والمثوبة في الآخرة.

قال علي السيد الوصيفي (في الإخوان المسلمون بين الابتداع الديني والإفلاس السياسي ص٤٠٢): "فقد نعى الأستاذ/ القرضاوي بابا النصارى الكاثوليك ودعى له بالرحمة والمثوبة في

الاخرة، وذلك في لقائه مع(خديجة بن قنة) على قناة الجزيرة برنامج الشريعة في ٣|٤|٢٠٠٥م، وقال ربما يعني بعض المسلمين يقول لم يعتذر عن الحروب الصليبية وما جرى فيها من مآسي للمسلمين كما اعتذر لليهود،وبعضهم يأخذ عليه بعض الأشياء ولكن مواقف الرجل العامة وإخلاصه في نشر دينه ونشاطه حتى رغم شيخوخته وكبر سنه،فقد طاف العالم كله وزار بلاداً ومنها بلاد المسلمين نفسها فكان مخلصاً لدينه وناشطاً من أعظم النشطاء في دعوته والإيمان برسالته،ثم قال: لا نستطيع إلا أن ندعو الله – تعالى – أن يرحمه ويثيبه بقدر ما قدم للإنسانية وما خلف من عمل صالح".

وأقول: فأين القرضاوى من الكتاب والسنة يا ترى؟!!!. ووالله إنه بعيد كل البعد عن الكتاب والسنة.

فقد قال الله – تعالى – (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» رواه مسلم.

وفي صحيح مسلم: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها».

وأسوأ مما تقدم قول القرضاوي عند زيارته لتونس: "إن الديمقراطية هي الإسلام"، وهذا من الأدلة على زندقة وإلحاد الإخوان المنافقين.

فالإخوان على قاعد "مكيافللي اليهودية " (الغاية تبرر الوسيلة)، فالإسلام عندهم هو وسيلة، والسلطة عنده هي الغاية، وعندهم استعداد للتعاون مع مجرمي هذا الزمان من الشيعة والاشتراكيين العلمانيين والمستشرقين والقوميين الذين تسموا بالشعوبيين، فهم ضد الإسلام الذي تسمّوا به، وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم «...يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»، فسعيهم ليس لإقامة الدين وإنما للوصول إلى الولاية العامة، ومن ثم القضاء على من خالفهم؛ لأنهم يرونه كفراً.

ولقد صدق العلامة محمد أمان الجامي – رحمه الله – (كما في الشريط الثالث من توجيهات بعد العشاء) حيث قال: "الإخوان المسلمين عندهم الإسلام وسيلة ما الغاية عندهم؟ السلطة.

أنا أقول من استنتاجي وحسب تجاربي للقوم: إن لأولئك أصابع تلعب مع البعثيين والعلمانيين والقوميين والنسائيين يشتركون معهم؛ لأن من منهجهم أن يستعينوا بأي إنسان وبأهل أي ملة إذا كانوا يظنون أن ذلك يقربهم إلى السلطة يوماً ما، وهم عشاق السلطة وحطّاب الكراسي: كرسي الحكم، لذلك لا تستبعد أن يعملوا كل شيء.

خذ مثالاً هنا، في الانتخابات التي جرت في الأردن أراد الإخوانيون أن يحصلوا على الأصوات ولم يتيسر ذلك إلا أن يستعينوا بالقوميين والبعثيين الذين كانوا يكفرونهم قبل أيام، استعانوا بالبعثيين والعلمانيين والقوميين وفازوا وتحصلوا على الكراسي الكثيرة ولهم مكانة الآن هناك، باسم ماذا؟ باسم الإسلام، والذين ساعدوهم على ذلك غير الاسلاميين، مثال حي نعيشه اليوم، والأمثلة من هذا القبيل كثيرة، هؤلاء القوم الإسلام عندهم ليس بغاية خذوها مني صريحة، الإسلام عند من يسمون أنفسهم بـ(الإسلاميين) اليوم ليس هو الغاية، بل الإسلام وسيلة، ما

الغاية عندهم؟ السلطة، السلطة هي الغاية سواء وصلوا باسم الإسلام الخالص أو بإسلام مشاب: مختلط مع غيره لا يضر المهم الوصول إلى السلطة يوماً ما، وهم يخططون للوصول إلى السلطة العامة، كما يزعمون إلى الشاملة للقضاء على الدويلات المنتشرة في العالم العربي الإسلامي"

فصل

وما يحدث من قتل للمعاهدين من أهل الذمة، وإتلاف الأموال وإحراق الممتلكات، والمقاطعات الفردية؛ بحجة الانتصار للرسول صلى الله عليه وسلم كل ذلك من فتن الإخوان، وليس من الدين الإسلامي.

وقد قال الله – تعالى –﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾.

وقال رسول الله صلى عليه وسلم « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين خريفاً»، وقوله: « من قتل معاهداً في غير كنهه حرم الله عليه الجنة»، وقد تقدمت نصوص كثيرة فيها تحريم سفك الدماء.

وقد قدمت من الأدلة الكثيرة التي تبين وجوب الصبر عند الابتلاء والامتحان، وما يقع من ظلم سواء أكان من الكافرين أو من المسلمين.

فما تقدم من النصوص والبراهين فيه تنوير لقلب كل مؤمن يدين بالطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يخالف في ذلك إلا من ران على قلبه الهوى

والضلال، ومنهم من انغمس فى النفاق والزندقة والإلحاد ومذهب الخوارج المارقة، ومعلوم أن كل شيء تولد منه فتنة وفرقة لا يكون من الدين، بل ذلك من الفساد في الأرض.

قال ابن تيمية – رحمه الله – (في الاستقامة ٣٧/١): "كل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين، سواء كان قولاً أو فعلاً، ولكن المصيب العادل عليه أن يصبر على الفتنة، ويصبر على جهل الجهول وظلمه إن كان غير متأول، وأما إن كان ذاك – أيضاً – متأولاً فخطؤه مغفور له، وهو فيما يصيب به من أذى بقوله أو فعله له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له وذلك محنة وابتلاء في حق ذلك المظلوم؛ فإذا صبر على ذلك واتقى الله كانت العاقبة له، كما قال – تعالى – ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾، وقال – تعالى – ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

فأمر – سبحانه – بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى، وذلك تنبيه على الصبر على أذى المؤمنين بعضهم لبعض متأولين كانوا أو غير متأولين، وقد قال – سبحانه – ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالماً له فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا؛ فإن الشيطان موكل ببني آدم، وهو يعرض للجميع ولا

يسلم أحد من مثل هذه الأمور – دع ما سواها –من نوع تقصير في مأمور أو فعل محظور باجتهاد أو غير اجتهاد، وإن كان هو الحق، وقال — سبحانه – لنبيه ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾، فأمره بالصبر وأخبره أن وعد الله حق، وأمره أن يستغفر لذنبه ولا تقع فتنة إلا من ترك ما أمر الله به، فإنه — سبحانه – أمر بالحق وأمر بالصبر فالفتنة، إما من ترك الحق، وإما من ترك الصبر، فالمظلوم المحق الذي لا يقصر في علمه يؤمر بالصبر، فإذا لم يصبر فقد ترك المأمور.

وإن كان مجتهداً في معرفة الحق ولم يصبر، فليس هذا بوجه الحق مطلقاً، لكن هذا وجه نوع حق فيما أصابه فينبغي أن يصبر عليه.

وإن كان مقصراً في معرفة الحق فصارت ثلاثة ذنوب: أنه لم يجتهد في معرفة الحق، وأنه لم يصبه، وأنه لم يصبر، وقد يكون مصيباً فيما عرفه من الحق فيما يتعلق بنفسه، ولم يكن مصيباً في معرفة حكم الله في غيره، وذلك بأن يكون قد علم الحق في أصل يختلف فيه بسماع وخبر أو بقياس ونظر أو بمعرفة وبصر، ويظن مع ذلك أن ذلك الغير التارك للإقرار بذلك الحق عاص أو فاسق أو كافر ولا يكون الأمر كذلك؛ لأن ذلك الغير يكون مجتهداً قد استفرغ وسعه ولا يقدر على معرفة الأول لعدم المقتضى ووجود المانع، وأمور القلوب لها أسباب كثيرة، ولا يعرف كل أحد حال غيره من ايذاء له بقول أو فعل، قد يحسب المؤذى إذا كان مظلوماً لا ريب فيه أن ذلك المؤذى محض باغ عليه، ويحسب أنه يدفع ظلمه بكل ممكن ويكون مخطئاً في هذين الأصلين؛ إذ قد يكون المؤذى متأولاً مخطئاً وإن كان ظالماً لا

تأويل له، فلا يحل دفع ظلمه بما فيه فتنة بين الأمة، وبما فيه شر أعظم من ظلمه، بل يؤمر المظلوم ها هنا بالصبر؛ فإن ذلك في حقه محنة وفتنة، وإنما يقع المظلوم في هذا لجزعه وضعف صبره أو لقلة علمه وضعف رأيه؛ فإنه قد يحجب أن القتال ونحوه من الفتن يدفع الظلم عنه، ولا يعلم أنه يضاعف الشر كما هو الواقع وقد يكون جزعه يمنعه من الصبر ، والله – سبحانه –وصف الأئمة بالصبر واليقين، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، وقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، وذلك أن المظلوم وإن كان مأذوناً له في دفع الظلم عنه بقوله – تعالى – ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾الآية، فذلك مشروط بشرطين:

أحدهما: القدرة على ذلك. والثاني: ألا يعتدي.

فإذا كان عاجزاً أو كان الانتصار يفضى إلى عدوان زائد لم يجز، وهذا هو أصل النهى عن الفتنة، فكان إذا كان المنتصر عاجزاً وانتصاره فيه عدوان، فهذا هذا.

ومع ذلك فيجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب إظهار السنة والشريعة والنهي عن البدعة والضلالة بحسب الإمكان كما دل على وجوب ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة. وكثير من الناس قد يرى تعارض الشريعة في ذلك فيرى أن الأمر والنهي لا يقوم إلا بفتنة، فإما أن يؤمر بهما جميعاً، أو ينهى عنهما جميعاً، وليس كذلك، بل يؤمر وينهى ويصبر عن الفتنة، كما قال – تعالى –: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ وقال عبادة «بايعنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم». فأمرهم بالطاعة ونهاهم عن منازعة الأمر أهله، وأمرهم بالقيام بالحق. ولأجل ما يظن من تعارض هذين تعرض الحيرة في ذلك لطوائف من الناس.

والحائر الذي لا يدري لعدم ظهور الحق، وتميز المفعول من المتروك _ ما يفعل؛ إما لخفاء الحق عليه، أو لخفاء ما يناسب هواه عليه.

والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة؛ فيقال أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة. وقد بسطنا هذا كله في غير هذا الموضع.

وإنما المقصود هنا التنبيه على وجه تلازمهما: موالاة المفترقين، وإن كان كلاهما فيه بدعة وفرقة، أو كانوا مؤمنين فيوالون بإيمانهم، ويترك ما ليس من الإيمان من بدعة وفرقة. فإن البدعة ما لم يشرعه الله من الدين. فكل من دان بشئ لم يشرعه الله فذاك بدعة وإن كان متأولاً فيه.

وهذا موجود من جميع أهل التأويل المفترقين من الأولين والآخرين، فإنهم إذا رأوا ما فعلوا مأموراً به ولم يكن كذلك، فليس ما فعلوه سنة، بل هو بدعة متأولة مجتهد فيها من المنافقين، سواء كانت في الدنيا أو في الدين.

كما قال – تعالى –: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾، وقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾.

وتجد أئمة أهل العلم من أهل البدعة والفرقة من أهل الإيمان والنفاق يصنفون لأهل السيف والمال من الملوك والوزراء في ذلك؛ ويتقربون إليهم بالتصنيف فيما يوافقهم، كما صنف كتاب "تحليل النبيذ" لبعض الأمراء وهو الكرخى، وقد صنف الجاحظ قبله كتابا لكن أظنه مطلقاً، وكما صنف ابن فورك كتاباً في مذهب ابن كلاب الرئيسي....."

قلت: وكلام ابن تيمية — رحمه الله– عام وفيه فوائد جمة، وهو دليل لكل فصل من فصول كتابنا هذا، ولكن اقتصرنا إلى اراد بعضه في الكتاب مختصراً، وذكرناه كاملاً ها هنا نسأل الله أن ينتفع به من اطلع عليه.

خاتمة الكتاب

أنه لا بد للمسلم المؤمن أن ينظر في عمله، هل هو موافق لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؟، ولا بد أن يكون لوجه الله – تعالى –، فيكون خالصاً صواباً، كما قال الفضيل بن عياض — رحمه الله —: "أخلصه وأصوبه، فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة"، والعمل إذا كان لوجه الله — تعالى – لابد أن يكون صالحاً؛ فإن الله — تعالى – لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه وحده كما في الحديث الصحيح عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله – تبارك وتعالى – أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه »، قال ابن

تيمية – رحمه الله –: "وهذا هو التوحيد الذي هو أصل الإسلام وهو دين الله الذي بعث به جميع رسله،...، والعمل الصالح هو الحسن والبر والخير وضده المعصية والعمل الفاسد والسيئة والفجور والشر والظلم والبغي".

فالخروج على ولاة الأمر من الأمر السيء الفاسد المصادم والمخالف لكتاب الله وسنة رسوله، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

والمظاهرات والثورات خروج، وهي من العمل الفاسد المبين السيء، ومن الإفساد في الأرض، والمسلم لا بد له – كما تقدم – أن يكون عمله صالحاً وخالصاً لله ليس لأحد فيه شيء كما قال عمر: "اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئاً".

ولا يكون الإنسان عمله صالحاً إلا إذا كان بعلم وفقه على وفق كتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم، قال عمر بن عبد العزيز: "من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح" وفي حديث معاذ بن جبل "العلم إمام العمل، والعمل تابعه"، فإن العمل إذا لم يكن بعلم فهو جهل وضلال واتباع للهوى، والفرق بين أهل الجاهلية وأهل الإسلام هو أن أهل الإسلام المتمسكون بالكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح يكون عملهم بعلم وفقه صالحاً يقبله الله بحيث يكون العمل على الصراط المستقيم، ثم لابد للمسلم أن يكون حليماً صبوراً على الأذى؛ لأنه لابد أن يحصل له الأذى فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح كما قال لقمان لابنه:

﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

ذكر ذلك ابن تيمية.

فالمظاهرات والثورات تفتقر إلى التأييد الإلهي واتباع الكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح، وكل عملهم ظاهره الفساد، وهو ليس من عمل الإسلام، بل إن العقل السليم يكذبهم وما يفعلون.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه:

سليمان بن مبروك الحربي

٢٠١١/١٢/١٠م